2013
Fac.LLT-02169

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــ :

فن العمارة الإسلامية في الدولة الأموية

الجامع الأموي "نموذجا"

من إعداد:

✓ بوعافية سهام

✓ برحال جميلة

تحت إشراف:

د/ دالي سليمة

السنـــــة الجامعيـــــة

1433هـ-1434هـ *2012م-2013م

TAC F20.05/01

دعـــــاء

ربنا علمنا التسامح هو أكبر مراتب القوة و إن حب

الانتقام هو أول مظاهر الضعف.

ربنا إذا جردتنا من نعمة الصحة أترك لنا نعمة الإيمان

ربنا إذا أسأنا إلى الناس أعطينا شجاعة الاعتذار و إذا

أساءت لنا الناس أعطينا شجاعة العفو

ربنا إذا وهبتنا على علمنا هذا ثوبا من عندك فاكتبه

في صحيفة والدينا الكريمين

و إذا نسينا ذكرك فلا تنسانا

" قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ "

سورة البقرة الآية 32.

كلمة شـــكر

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك فلك الشكر و المنة أن يسرت لنا و وفقتنا إتمام هذا العمل و الصلاة والسلام على سيد الأولين و الآخرين و خاتم الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

و عملا بقوله صلى الله عليه و سلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذتنا الفاضلة الدكتورة دالي سليمة التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث وكانت لنا عونا و مرجعا فلم تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة فجزاها الله عنا كل خير و وفقها لما تحب ترضاه

نشكر كل من ساعدنا و وقف إلى جانبنا من قريب أو بعيد أستاذتنا الكرام، و زملائنا الطلبة

كما نتقدم بالشكر إلى السادة الدكاترة الأفاضل أعضاء اللجنة الموقرة الذين بذلوا الجهد والوقت من أجل مناقشة هذه المذكرة و إبداء النصائح العلمية للباحث حتى يعمل بها مستقبلا.

إهـــــــداء

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من احمل أسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمار قد حان قطافها بعد طول انتظار و ستبقى علماتك نجوم اهتدي بها اليوم وفي الغد و إلى الأب . و إلى العزيزة إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و إلى معنى الحنان و التفاني إلى بسمة الحياة و سر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة.

إلى سندي و قوتي إلى من أثروني على نفسهم إلى من علموني علم الحياة فأنتما من سكن فؤادي و بحبي الأبدي الطاهرة أيها الجدين العزيزين: جدي أطال الله في عمره و جدتي رحمها الله و اسكنها فسيح جناته.

إلى القلوب الطاهرة و النفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخواني و أخواتي من عائشة إلى صبرين أحبكم حبا لو مر على أرض قاحلة لتفجرت منها ينابيع المحبة.

جميلة

إهـــــــداء

بسم الله الرحمان الرحيم " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ "

إلهي لا يطيب الليل إلا لشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك و لا تطيب الجنة إلا برؤيتك...الله جل جلاله.

علاه من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة...إلى نبي الرحمة و نور العالمين "سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم"

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار و ستبقى كلماتك اهتدي بها اليوم و في الغد و إلى الأبد "أبي الغالي العزيز أطال الله في عمره "رمضان"

إلى ملاكي في الحياة و معنى الحب و الوفاء إلى سمة الحياة و سر الوجود و من كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي العزيزة أدمها الله تاجا فوق رؤوسنا "فتيحة"

علاه من شاركني حضن الآلام و بهم استمد عزتي و إصراري إخوتي الأعزاء، محمد ، أسماء

و علاه جدتي الحنون "زهرة" و كل العائلة الكريمة و إلى من قاسموني الأوقات في الجامعة بحلوها و مرها صديقاتي العزيزات" فتيحة" ، "نائلة"، "حنان"، "حورية".

إلى من عملت معي و رافقتني في إنجاز هذا العمل جميلة

سهـــام

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم و الصلاة و السّلام على الرّسول الكريم و على أصحابه أجمعين أما بعد:

فالحضارة العربيّة الإسلاميّة كانت حضارة مبنية على قيم حضارية استطاع من خلالها الإنسان المسلم أن يثبت وجوده و يجسد التعاليم الأصليّة السّمحة التّي جاء بها الدين الإسلامي على أرض الواقع.

إنّ الدّين يلتقي في حقيقة النّفس بالفن، فكلاهما انطلق من عالم الضرورة وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال. و الفن الإسلامي بالضرورة هو الفن الذّي يتحدث عن الإسلام، فليس هو الوعظ و الإرشاد و إنّما هو الفن الذّي يرسم صورة الوجود من زاوية التصوير الإسلامي ، و هو التعبير الجميل عن الكون و الحياة و الإنسان من خلال تصوراته. و الفن الإسلامي في الدولة الأمويّة يعكس هذه الصورة الرائعة التّي تدل على براعة الفنان المسلم، و قدرته على الإبداع و الابتكار، و أهم الفنون التّي تعكس الوجه الحقيقي في الحضارة الأموية هو الفن المعماري الأموي وهوجانب من جوانب الفنون الأخرى التّي تزخربها الدّولة الأمويّة.

و يعد فن العمارة من أهم مظاهر الحضارة في أي دولة فهو بمثابة مرآة تعكس آمال الشعوب و قدرتها العلميّة و ذوقها و فلسفتها فلقد كانت العمارة ذات الصور الصادقة لحضارة الإنسان و تطوره.

و تعد العمارة الإسلاميّة من أهم فنون الحضارة العربيّة الإسلاميّة فعلى الرغم من تأثرها

بباقي الحضارات التّي سبقتها إلّا أنها استطاعت أن تكوّن لنفسها طابعا مميّزا عبر عبر عن خصوصياتها لارتباطها بالعقيدة الإسلاميّة، و إذ شكلّت بتراثها المتنوع منهاجا قاد حضارات أخرى إلى مطاف التّطور و الإزدهار. و لقد نشأت العمارة الإسلاميّة كحرفة بسيطة في البناء تم تطورت حتّى كونت مجموعة من الفنون المعماريّة المختلفة، و اشتمل الفن المعماري الإسلامي على عدة أنواع منها عمارة المساجد و القصور و البيوت.. و قد برع المسلمون في فن العمارة بكل أشكالها.

و قد تناولنا في هذا البحث فرعا من فروع الحضارة الإسلامية هو فن العمارة في الدولة الأموية و ذلك لأنّ في هذا العصر تطورت و تنوعت طرق البناء، كمّا كان هناك تنوع في أنماط الوظيفيّة في فن العمارة الأمويّة و لعلّ أهمها المساجد و البيوت و القلاع و غيرها. و من هنا كان المسجد الدعامة أولى لنشأة الفن المعماري و قد اخترنا لبحثنا صفحة زاهرة من هذا السجل والمسجد الأموي الذّي يعد من أروع التحف الفنيّة في العمارة الإسلاميّة في الدولة الأمويّة و انطلاقا من هذا فإن إشكالية موضوعنا قد تمحورت حول- مدى أهمية العمارة عند العرب المسلمين و ماهية المواصفات المعمارية و الفنية للجامع الأموي؟.

- و من دواعي اختيارنا لهذا الموضوع اعتزازنا بأسبقية العرب لهذا المجال و ذلك للحفاظ عليه من الشوائب و إن من دواعي إعجابنا بالحضارة الأموية و لا سيما جانبها المعماري هو السبب الرئيسي الذّي دفعنا لاختيار هذا الموضوع و قد اعتمدنا في مذكرتنا هذه

على مجموعة من المصادر و المراجع منها رحلة ابن بطوطة، حسين مؤنس المساجد، و محمد السّيد: تاريخ الدولة الأموية، و محمد بن أحمد كنعان تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، عفيف البهنسي العمارة و المعاصرة وغيرها من الكتب التّي تصب في قالب البحث.

و هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع العمارة على سبيل المثال أطروحة دكتورة بلحاج معروف العمارة الدينية و الإباضية لمنطقة واد ميزاب و قد توصلنا لذلك بمنهجية جعلناها كالآتي:

مقدمة و مدخل و فصلان و خاتمة فقد بدأنا البحث بمقدمة تناولنا فيها أهمية الموضوع والمدخل تحدثنا فيه على تاريخ الدولة الأموية أمّا الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان العمارة العربية الإسلامية و تحدثنا فيه على العمارة بصفة هامة و العمارة العربية الإسلاميّة بصفة خاصة و عن نشأتها و خصائصها و أقسامها . أمّا الفصل الثاني فقد تناولنا فيه المسجد الأموي فتحدثنا عن تاريخية هذا المسجد و عن مواصفاته المعمارية و الفنيّة و في الأخير ختمنا بخاتمة كانت خلاصة لأهم نتائج البحث.

و قد اتبعنا في موضوعنا هذا المنهج التاريخي الوصفي و من بين الصعوبات التّي واجهتنا أثناء إنجاز بحثنا هذا هو ضيق الحيز الزّماني و احتكار بعض الطلبة للمراجع و المصادر و هي صعوبات لا يخلو منها البحث علمي .

و في الأخير لا يسعنا إلاّ أن نقول أنّ هذا العمل لا يعدو أن يكون لبنة في صرح البحث العلمي الحضاري و نرجو من الله عزّ و جلّ أن يكون قد وفقنا فيه، و أخرجناه في صورة حسنة تنفعنا و تنفع الباحثين بعدنا .

تلمسان في: 16-06-2013م

الموافق لـــ:07-08-1434هـــ

-بوعافية سهام

-برحال جميلة

مدخل

مدخـــل:

عندما يكون الحديث عن العرب ما بعد الإسلام، فهذه المرحلة تعد بمثابة تحول جوهري لم يعرف له العالم مثيلا من قبل، حيث أنّ ظهور الحضارة العربيّة الإسلاميّة كان مواكبا لنزول الوحي على رسول الله محمد صلّى الله عليه و سلم، و كانت أولى دعواته بما أنزل عليه في قوله سبحانه و تعالى:" **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** " ([1]).

فبدأ العرب يتوافدون بمختلف مناهلهم و معتقداتهم ومعارفهم لينضووا تحت راية الإسلام، الدين الذي جاء لتوحيدهم و جعلهم إخوانا بعدما كانوا أعداءا. إذ مثلت نفوسهم الصافية تعاليم هذا الدين الجديد و مبادئه السامية، فغيرت من صفات الجاهلية و جعلتهم يترفعون عن مطالب الأرض(المادة) و يتجهون بأنظارهم نحو السماء (الروح)([2]).

فلكي يتجه المجتمع نحو الحضارة لا بد له من أن يلتزم بالقواعد التي تغرسها الشريعة الإسلامية، فالإنسان هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها الحضارة فما هو المقصود بالحضارة؟.

الحضارة في المنظور القديم المتداول، و هي الإقامة في الحضر، أي المجتمع المتحضر أكثر من سواه، و المقيم في المدن و القرى بخلاف البداوة و هي الإقامة في البوادي.

---

[1]- سورة العلق، الآية1.

[2]-محمد بغدادي باي، التربية و الحضارة. بحث في مفهوم التربية وطنية علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي عالم الأفكار. ط2. 2007. ص55.

في هذا قال الشاعر:

وَ مَنْ تَكُن الحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ * فَأَيُ رجَالُ بَادِيَة تَرَانَا**([1]).

و يطلق العرب على لفظة الحضارة التمدن أو التمدين، أي المقيمون بالمدن، و هذه اللفظة تطابق الكلمة اللاتينية (التمدن) و منها انشقت الكلمات الأوروبية الحديثة الدالة على الحضارة مثل كلمة الفرنسية الانجليزية و الألمانية([2]) يقابلها على الضد منها مصطلح البداوة الذي يعني التنقل و عدم الاستقرار.

و يرى ابن خلدون في مقدمته إن الفرق بين الحضر و البداوة هو الاجتماع الإنساني والعمران فيقول:(...والاجتماع الإنساني هو عمران العالم و ما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل:التأنس و التوحش و العصبيات، و أضاف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، ما ينشاء عن ذلك من الملك و الدول و مراتبها و ما ينتحله البشر بأعمالهم و مساعيهم من الكسب و المعاش و العلوم و الصنائع و سائر ما يحدث عن ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.

فالاجتماع الإنساني ضروري و هو معنى العمران و المدنية و هو الحضارة و بذلك يربط بين الحضارة و الملك أي بمعنى الاستقرار و السيادة([3]).

---

[1]-ابن منظور. لسان العرب.بيروت.ط1،1990، ص197.

[2]-علي حسن الخربوطلي، الحضارة العربية. مكتبة الخانجي، ط2 . 1994. ص 13.

[3]-ابن خلدون. المقدمة . طبع لجنة البيان العربي. القاهرة 1957. ص877.

عرّف بعض الحضارة بمعناها العام فقال: أنها تراث و إنتاج مشترك بين الأمم المختلفة، و أن فضل كل أمة يكون بقدر إسهامها في التراث([1]).

و يعرفها توينبي: بأنها حصيلة عمل الإنسان في الحقل الاجتماعي المناقبي، و هي حركة صاعدة و ليست وقائع ثابتة و جامدة، و أنها رحلة حياتية مستمرة.

و يعرفها ألبرت اشفينسر و يقول: أن الطابع الجوهري للحضارة لا يتحدد بانجازاتها المادية بل باحتفاظ الأفراد بالمثل العليا لكمال الإنسان و تحسين الأحوال الاجتماعية و السياسية للشعوب وللإنسانية في مجموعها.و أن يكون التفكير خاضعا لهذه المثل بطريقة حية و ثابتة([2]).

فالحضارة جامعة لمختلف جوانب النشاط المادي و الفكري (الثقافي) و هي تلبي حاجات الإنسان المختلفة، و للحضارة خاصية الاستقرار و النماء. كما لها خاصية الانتشار في الجماعة الواحدة و بين الجماعات المتعددة، و على هذا فان لكل جماعة إنسانية حضارة و الفارق الوحيد بين الحضارات مستويات الأفكار و القيم ذاتها([3]).

و الإسلام قد أنشأ مفاهيم و مصطلحات خاصة تخصص بها المصطلح اللغوي ... والحضارة كذلك هي في اللغة فعل أهل الحضر و لكنها في المصطلح الإسلامي هي عمارة

---

[1] -عبد الرحمن الحجي. حضارة الإسلام في الأندلس.دار النشر بيروت. دط. 1969. ص9.

[2] - ألبرت اشفينسر. فلسفة الحضارة. ترجمة عبد الرحمان بدوي .طبع وزارة الثقافة.ط1. 1999. ص34.

[3] - محمد بغدادي باي، التربية و الحضارة، المرجع السابق، ص61.

الأرض بمقتضى المنهج الرباني، فيدخل في ذلك الجوانب المادية و التنظيمية و تدخل فيه القيم التي يحملها الدين الجديد([1]).

بدأت بوادر الحضارة العربية الإسلامية بظهور الإسلام، فقامة الدولة الإسلامية رافعة راية التوحيد لله عز و جل، و كان رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم قائد هذه الأمة برمتها وراعيها في شؤونها العامة و الخاصة، و ظلت الأمور على أحسن أحوالها ، و بدأت تتسع رقعة الإسلام.

و لقد ظهر العرب بوصفهم نواة دولة عالمية من الناحية الحربية و الإدارية، و شجاعتهم النادرة و بطولتهم القائمة و تضحياتهم القائلة في ميدان القتال استطاعوا أن يفتحوا الدنيا ويظهروا الأمم و تمكنوا بمواهبهم الفائقة على ضوء هدى الدين الإسلامي القويم من تأسيس دولة عالمية تشكلت شخصيتها العظيمة و نظامها السياسي و الإداري و الاقتصادي، و تحقيق جميع ذلك بفضل سياسة خلفاء برعوا في فن الحكم و قادة عسكريين و حكاما إداريين([2]).

و بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في سنة احدى عشرة للهجرة تولى الصحابة من بعده أمر الخلافة و كان أولهم الصحابي الجليل أبا بكر الصديق رضي الله عنه. و قد جاء في حديث الرسول صلى الله عليه و سلم: **الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك.** أي بعد وفاة الرسول بثلاثين سنة سيتحول النظام الخلافي إلى النظام الملكي الوراثي، و قد كان

[1]- محمد قطب. واقعنا المعاصر. مكتبة الرحاب الجزائر. ط2. 1989. ص101.

[2]- محمود السيد، تاريخ الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية2002. ص62.

انقضاء الثلاثين سنة بخلافة الحسن بن علي الذي سلم أمر الحكم لمعاوية بن أبي سفيان الذي يعتبر مؤسس الأول للدولة الأموية و هو أول ملوك الإسلام عام41هـــ/661م.

قال بن جرير في سنة إحدى و أربعين سلم الحسين بن علي الأمر لمعاوية بن أبي سفيان،ثم روي عن الزهري أنه قال: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق يشترط عليهم أنهم سامعون و مطيعون مسالمون من سالمت ومحاربون من حاربت فارتاب أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب؟ فما كان عن قريب حتى طعنوه فازداد لهم بغضا و ازداد منهم ذعرا، فعند ذلك عرف تفرقهم و اختلافهم عليه، و كتب إلى معاوية يسالمه، و يراسله في الصلح بينه و بين على ما تختاران ([1]).

فقامت الدولة الأموية على أساس الدين و قوة الإيمان و على أساس قوة الجنس العربي وخصائصه و قد استمرت احدى و تسعين سنة، و ذلك من عام41 هجري حتى 132هجري، و قد تعاقب على الحكم أربعة عشر خليفة من بني أمية.

و قال ابن أبي خيثمة: حدثنا هارون بن أبي معروف حدثنا حسرة عن ابن شوذب قال كان معاوية يقول"أنا أول الملوك و آخر خليفة" و لي معاوية الخلافة من غير مشاورة و أخذت الخلافة الأموية طابعها السياسي و استحدث أمور الخلافة لم تكن من قبل([2]).

[1]- محمد بن احمد كنعان. تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير. مؤسسة المعارف. لبنان. ط1. 1997. ص32.

[2]-محمد الحضري. الدولة الأموية. مكتبة الإيمان. 2006. ص12

و لقد حاولت الدولة الأموية في عهد معاوية منذ أول ولاية وضع نظام أكثر تنسيقا للإدارة شؤون الدولة فقد عاش معاوية سنوات عديدة في دمشق درس خلالها كيف يسير العمل في الإمبراطورية الرومانية الشرقية. ساعدته على تأسيس نظام حكومي رشيد يسير على خطة تنظيمية سليمة و إدارة صادقة.

و هذا النظام الذي أقامه الأمويون في الدولة يعد أحد المشاعل التي أضاءت الطريق في أول قيام الدولة، فلم يكن هذا النظام معروفا للعرب

من قبل و نقل الأمويون فنون الحكم و الإدارة من الشعوب المجاورة ساعد على نجاحهم في حكم الدولة الإسلامية، التي اتسعت حتى شملت قارات العالم المعروفة في ذلك الحيز آسيا وإفريقيا و أوروبا تم واصلت جيوش الدولة الأموية فتوحاتهم في الشرق حتى اقتربت من مناطق الغربية لبلاد الصين([1]).

و قد انتقلت الحياة المسلمين في العهد الأموي من البساطة و الزهد إلى حياة الترف والرفاهية، لما اقتضته كثرة الأموال و الغنائم،و هو مظهر من مظاهر قوة الملك و قوة الدولة.

فرسخ معاوية بن أبي سفيان دعائم الحكم و وسع الإمبراطورية شرقا و غربا فاستولت جيوشه على مناطق في الهند تم احتل شمال إفريقيا بأكمله حتى المحيط الأطلسي و اعتنق البربر

[1] – محمد السيد، تاريخ الدولة الأموية ،المرجع السابق. ص32

الإسلام فزاد من قوة المسلمين،و تأثر معاوية بالنظام البيزنطي فتخلى على حياة التقشف و عاش في القصر و أنشأ بلاطا و أحاط نفسه بالمساعدين و المستشارين([1]).

فبني قصرا لنفسه و اتخذ فيه سرير للجلوس و وضع حوله الستائر و أحاط نفسه بالحجاب و جعل الحراس تمشي بالمحراب بين يديه و أوجد الشرطة للحراسة لشخص الخليفة و جعل لنفسه مقصورة في المسجد لحمايته أثناء الصلاة و استقر معاوية بالشام و جعل من دمشق عاصمة للخلافة فأرض الشام مقدسة عند المسلمين لوجود الصخرة([2]).

و هكذا توالت التغيرات في شتى المجالات الحياة السياسية منها لأنها عماد الدولة، و لذلك فقد تعددت الدواوين إلى أن أضحت خمسة تدير شؤون الدولة الأموية و ذلك نتيجة اتساع هذه الدولة و ازداد نشاطها، فظهر الاختصاص، و أصبح كل ديوان يختص بجانب معين من شؤون الدولة([3]). و منها:

ديوان الجند وقد كان يحصر جند كل إمارة و أعيانهم و كل ما يختص بهم في ديوان "الحربية".

---

[1]-وهبيابي الفضل، موسوعة علم التاريخ والحضارةالعالم من العهد الروماني حتى عصر النهضة ، نوبليس، ط2، ج2، 2005، ص49. 100.

[2]- محمد السيد، تاريخ الدولة الأموية، المرجع السابق، ص25.

[3]- حسان حلاق. دراسات في التاريخ الحضارة الإسلامية. النهضة العربية. ط2. 1999. ص24.

و ديوان الخراج فهذا الديوان ينظم جميع حسابات الدولة من الداخل. و ديوان الوسائل تصدر فيه الرسائل إلى الأمراء و العمال في الإمارات المختلفة([1]).

تم كان لديهم أيضا ما يسمى بديوان الخاتم هو الذي كان تختم فيه الكتب بعد أن تكتب، و من المحدثات الجميلة التي حدثت في عهد معاوية " البريد" معناه أن تقسم الطرق المنازل في كل مترل دواب مهيأة و معدة لحمل كتب الخليفة إلى البلدان المختلفة([2]).

و يعد ديوان البريد من أهم التنظيمات التي وضعها الخليفة معاوية بن أبي سفيان و طوره الخلفاء و الحكام من بعده فهو الديوان الذي ينظم الاتصالات و طرق التنقلات لولاتها بين عاصمة الخلافة و أطرافها البعيدة الشاسعة([3]).

و قد دخل العصر الأموي بعدة أسماء تألقت في فن الحكم و الإدارة، و لعل من أشهرهم عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة، و عقبة بن أبي سفيان و عقبة بن نافع الفهري و هو أحد كبار القادة الذين لمعت أسمائهم في الفتوحات الإسلامية، و غيرهم من الولاة الذين تفتخر بهم الدولة الأموية. و قد دامت مدة حكم معاوية بن أبي سفيان حوالي عشرين عاما و قبيل وفاته قرر أن يسلم السلطة لابنه يزيد و بهذا صار حكم بني أمية على خطى الملكية الوراثية بعد أن كانت الخلافة مبايعة قائمة على أساس مبدأ الشورى.

---

[1]- محمد الحضري. الدولة الأموية.المرجع السابق. ص321.

[2]- المرجع نفسه ،ص129.

[3]- ظاهر جليل، جيوش أوائل العرب عبر العصور و الحقب الدولة الأموية، دار الكتب بغداد،ج3. 1991. ص78

وكان يزيد غائبا عن دمشق عند وفاة أبيه في رجب سنة60 هـــ، فأخذ له الضحاك بن قيس البيعة، و لما حضر جاءته الوفود و الأمراء لتعزيته في أبيه و تهنئته بالخلافة و تجديد البيعة له([1]).

و قد دامت مدة خلافة يزيد ثلاثة سنوات و ثمانية أشهر و أربعة عشر يوما و توفى سنه تسع و ثلاثين سنة.

ثم قام بالأمر بعده ابنه معاوية و كان حيزا من أبيه فيه دين و عقل بويع بالخلافة يوم موت أبيه، فأقام فيها أربعين يوما و قيل أقام فيها خمسة أشهر و أياما و خلع نفسه.

و توفى معاوية بن يزيد رحمه الله بعد خلعه لنفسه بأربعين ليلة و قيل بسبعين ليلة و كان عمره ثلاث و عشرين سنة و قيل إحدى و عشرين سنة و قيل ثماني و عشرين سنة.

و قد اختار الأمويون بعد معاوية الثاني مروان بن الحكم و هكذا انتقلت الخلافة إلى المروانيين حيث بويع له بها إلا أنه واجه صعوبات عدة دون أن يتمكن من حلها لكبر سنه و قد دامت خلافته مدة عشرة أشهر و توفي و عمره ثلاث و ثمانين سنة.

ثم قام بالأمر بعد مروان ابنه عبد الملك و هو أكبر الخلفاء الأمويين في البيت المرواني المؤسس الثاني للدولة الأموية([2]).

---

[1]- محمد قباني . الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط. دار وحي القلم .ط1. 2006. ص23

[2]- محمد بن احمد كنعان. تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير. المصدر السابق.307.

وقد اتجه المسلمون في عهده إلى تعريب الدواوين بأن جعل اللغة العربية لغة ديوان المال وبالتعديل الذي أدخله عبد الملك بن مروان في نظام الدولة من حيث تعريب العملة و الدواوين و قد أقام الدولة على قواعد جديدة ذات طابع فني متطور و أكثر مما كانت عليه من قبل.

و كان عصر الوليد بن عبد الملك قمة عصر الازدهار للدولة الأموية إذ بلغت أقصى اتساعها شرقا و غربا و لما امتازت الدولة بالاستقرار و انصرف الوليد إلى الفتوحات و تعمير الأرض فكانت بمثابة نهضة عمرانية كبرى. فاهتم في زمنه بإصلاح البلاد عامة بكل ما فيها من موافق خاصة المساجد حيث زوق فيها و نمق و أعاد بناءها بما فيها المساجد النبوي و جامع دمشق، هذا الأخير المعروف بالجامع الأموي فقد احتفل له الوليد احتفالا عظيما فهو كان و لا يزال من الآثار الشاهدة على ذلك العصر.

قال الحافظ بن عساكر: "كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم، بنّى المساجد بدمشق و أعطى الناس و قرض المجذومين و قال لا تسالوا الناس([1]).

و أعطى كل مقعدا خادما و كل أعمى قائدا و كان يرعى حملة القران الكريم و يقضي عنهم ديونهم و بني الجامع الأموي و هدم كنيسة مريوحنا وزاد فيها و ذلك في ذي القعدة سنة ست و ثمانين و توفي الوليد و لم يتم بناؤه فأتمه سليمان أخوه([2]).

---

[1]- محمود السيد، تاريخ الدولة الأموية،المرجع السابق. ص63 .

[2]- محمد بن احمد كنعان. تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير.المصدر السابق. ص 509.

و قد كان له السبق في تقديم الخدمات للناس مجانا خاصة للمرضى و قد كانت أول البيمارستانات التي بناها العرب على يده.

و كانت وفاة الوليد بن عبد الملك في منتصف جمادى الثاني سنة 96 هـــ. بعد أن مكث في الخلافة سبع سنين و ثمانية أشهر من منتصف شوال سنة86هـــ إلى منتصف جمادي الثانية 96هـــ([1]).

و هكذا توالت الخلافة على الدولة الأمويّة حيث بلغت في مجملها منذ التأسيس إلى حين سقوطها أربعة عشرة خليفة من بني أميّة و آخر ملوك بني أميّة مروان بن محمد بن مروان بن عبد الملك.

و بهذا انقضت الدولة الأمويّة، و جاء عهد الدولة العباسيّة حيث بويع عبد الله بن محمد الذي عرف بلقب أبي العباس السّفاح سنة132هـــ قبل شهور من مقتل مروان بن محمد.

و إنّ من يتصفح تاريخ الدولة الأمويّة منذ قيامها و يدرس فتوحاتها و نظمها و الإدارة ومساهمتها الحضارية و عظمة خلفائها و ولاتها، لا يتوقع النهاية السريعة و السقوط لها، بالفعل أن سقوطها و انهيارها يعتبر من الأمور العجيبة في التاريخ البشري([2])

[1]- محمد الحضري. محضرات تاريخ الأمم الإسلامية. دار الفكر ج1.ص177.

[2]- محمد قباني . الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط. دار وحي القلم .ط1. 2006. ص69.

الفصل الأول

العمـــــارة العـــربيّة الإســـلاميّة

I-الفصل الأول: العمارة العربية الإسلامية.

1. المبحث الأول: العمارة.

***مفهوم العمارة:**

إنّ الموضوع هذه الدراسة يحتم علينا استعراض بعض الآراء حول ماهية العمارة ليتسنى لنا تقديم تعريف مناسب يتماشى و خصوصيات العمارة التي نحن بصدد البحث في حيثياتها:

لم تنشأ العمارة بكل ما تحمله من مبادئ و أساليب متنوعة من لا شيء و لكنها أخذت تتكون و تتبلور شيئا فشيئا عبر العصور و المراحل التاريخية التي قطعها الإنسان الذي كان يحاول دوما تصميم مسكن يتوافق واحتياجاته الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية. فعندما شعر الإنسان البدائي بحاجته الملحة إلى مأوى يحميه من الظروف القاسية للوسط الطبيعي الذي يعيش فيه، لجأ إلى المغارات فنظم و رتب فراغاته وفق احتياجاته و نشاطاته المختلفة، و على هذا الشكل تعرف الإنسان على المبادئ الأولى للعمارة ([1]).

أ-**لغة**: يقال: عَمَّرَ الله بك مترلك، يَعْمُرُهُ عِمَارة، وأَعْمَرَه. جعله آهلا. و مكان عَامِرٌ ذو عمارة ،مكان عَمِيرٌ عَامِرٌ و عَمَّرَ الرّجل ماله و بيته يَعْمُرُهُ عِمَارَةً و عَمُورًا و عُمْرَانًا لَزِمَهُ.

وَ أَعْمَرَ المكان و اسْتَعْمَرَهُ فيه: جعَله يَعْمُرُهُ . و في الترتيل العزيز " أي أذن لكم في عمارتها و استخرج قومكم منها و جعلكم عمارها.

[1]-رئيف مهنا ويسن بحر، نظريات العمارة، الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1992، ص19. 20.

و المَعْمَرُ: المنْزِل الواسع من جهة الماء و الكلئ الذي يقام فيه قال طرفه بن العبد" يا لك من قُبْرَةٍ بِمَعْمَرِ و العِمارة ما يُعَمَرُ به المكان".

و منه قول الساجع:"أرسل العراضات أثرا ببغيك في الأرض معمرا أي: يبغين لك مترلا([1]).

ب-**اصطلاحا**: المقصود بالعمارة هي الأبنية الفاخرة التي تسمر في أهدافها على ماديات المسكن و الكن والمأوى إلى معنويات الجمال و السعادة و الكمال([2]).

و قد جعلها بعض الفلاسفة اليونانيين بمثابة أم الفنون([3]). و عرفت العمارة أيضا على أنها تكوين فضائي يستجيب لمتطلبات المنفعة و المتانة و الجمال و الاقتصاد. و تظهر براعة المهندس المعماري في تحقيق نوع من الانسجام و التوازن ببين هذه العناصر الأربعة.

و لقد ركز عرفان سامي في محاولته لإعطاء مفهوما للعمارة اعتمادا على تلك العناصر الأربعة فيرى أن العمارة هي الفن العلمي لإقامة عمائر تتوفر فيها الشروط الآتية :المنفعية و المتانة و الجمال و الإقتصاد و التّي يمكنها تلبيّة حاجيات الإنسان الماديّة و النفسيّة و الروحيّة و ذلك بالاعتماد عل أحسن الوسائل الإنشائيّة المتوفرة في ذلك العصر و لكن شريطة أن يقوم بانجاز ذلك المبنى معماريون لهم دراية كافية بالظروف البيئيّة المحيطة بالمعلم([4]).

---

[1]- ابن منظور. لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان، ط1، 1997، ج4، ص426.

[2]-زغلول سعد عبد الحميد، العمارة و الفنون في الدولة الإسلام، المعارف الإسكندرية، ص 3.

[3]-توفيق حمد عبد الجواد، تاريخ العمارة و الفنون الإسلامية، ج3، القاهرة ،1970، ص2.

[4]- رئيف مهنا ويسن بحر، نظريات العمارة، ،مرجع سابق، ص108. 109.

و أما صاحب كتاب نظريات العمارة فقد أعطى تعريفا شموليا لمفهوم العمارة معتقدا على أنها انعكاس للنشاط الاجتماعي للإنسان من كل الجوانب الاقتصاديّة و الاجتماعيّة و البيئيّة([1]).

و يعد فيترونيوس* أول من قدم تعريفا علميا للعمارة في كتابه "العمارة" "DeArchitecture" مفاده أنها علم يشتمل على مجموعة متنوعة من الدّراسات و المعارف حيث تقوم باختبار نتاج الفنون الأخرى و تعد العمارة في نظره ثمرة تتأتى ببدل مجهودين أساسين أحدهما نظري و الآخر تطبيقي فالنّظري يقوم بإثبات صحة و دقة النّسب المتوخاة في الأشياء المعالجة و أما التطبيقي فهو علاج الفكرة بالممارسة أي تحقيق الفعل الذي يعطي للمادة المستعملة الشكل المرسوم([2]).

-أما المعماري الفرنسي لوكوربرييه *Le corbières* الذي كان بلا شك متأثرا بالعمارة القديمة و الإسلاميّة بالخصوص، فقد حاول بقدر الإمكان الاستفادة من السابقين فرأى في ضوء مسار التاريخ العمارة أنها لعب متقن بالكتل منظورة تحت الضوء.

---

[1]- المرجع نفسه، ص110.

*- فيترونيوس: عاش في القرن 1 ق.م ولد مابين 80 و70 ق.م وتوفي 15ق.م ،كان معماريا ومهندسا وكاتب لاتيني صمم كتب قواعد الهندسة المعمارية بعشرة كتب سميت De Architecture وهو أول من قدم تعريفا علميّا للعمارة.

[2]-سيدي محمد الغوثي سنوسي، الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينية الإسلامية بالمغرب العربي، رسالة دكتوراه دولة، قسم الثقافة الشعبية تلمسان، 2006، ص85.

*- لوكوربزييه: (1887-1965)كان معماريا سويسريا من أصل فرنسي أشتهربعمارة الحداثة وهو يمثل مرحلة أساسية من مراحل تطور العمارة الحديثة.

-و تعد العمارة عند بعض الباحثين بمثابة الروح الخلاقة التي تتطور عبر الزمن تماشيا مع الطبيعة و الظروف المحيطة بالإنسان سواء كانت بيئة أو اجتماعية([1]).

-العمارة بمفهومها البيئي و الحضري الأوسع من أكثر النشاطات الإنسانيّة صلة بتجسيد الواقع الحضاري للأمة، والسلوك الاجتماعي حتمية و جدلية في تحديد نمط الحياتي و السلوك الاجتماعي العام من خلال تأثيرها المباشر على البيئة البشريّة و عكسها للمفاهيم و الرموز الماديّة و المعنويّة في أي فترة تاريخية و تعتبر العمارة جزءا لا يتجزأ من الفنون التشكيلية([2]).

و العمارة هي أم الفنون هذه حقيقة صالحة لكل مكان و زمان([3]).

-و بهذا الصدد يقول أرنست بوردين في كتابه:

design: « Avisual Resource Elements Architectural »

محاولا تعريف العمارة من خلال تشخيصه الدافع الغريزي عند الإنسان للبناء بغرض الالتجاء، فقد اعتدنا على التفكير في المبنى كمأوى و مسكن يعيش فيه الإنسان و مكتب يعمل فيه و مكان مقدس للعبادة و ميادين و أبنية أخرى للترفيه. فالإحساس بالالتجاء أمر غريزي و لذا يظهر لن أنّه من الطبيعي أن نبنيّ لنحقق ذلك الإحساس و بذلك غالبية المباني التي تغطي الأرض، توفر المأوى و الملجأ و المنفعة، و إنها توفر ما نسميه العمارة.

---

[1]- رئيف مهنا ويسن بحر، نظريات العمارة،المرجع السابق، ص109.

[2]- محمد حسين جودي،العمارة العربية الإسلامية،دار المسيرة، ط1، 2007، ص27.

[3]-هاني محمد القحطاني، مبادئ العمارة الإسلامية و تحولاتها المعاصرة، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، 2009، ص543.

-كما يمكن القول أن العمارة تشكيل وظيفي "Composition Functional" يؤدي أغراض إنسانية و متطلبات حياته بوسائل مكانيّة و ماديّة و بارتباط وثيق بحياة المجتمع و زمانه لذا فإنها تخضع للمؤثرات الحضارية و الرمانية و الاجتماعية و الاقتصادية إضافة إلى خضوعها لعوامل الطبيعية و المناخية([1]).

-يعد ريمون بايير* أن العمارة هي المنبع الأصلي للفنون الأخرى و التي تجلت نشأتها راية في جدران المعابد([2]).

يقول شاخت عن ذلك: إنّ فن العمارة مرتبط أكثر من غيره من الفنون بالبيئة التي ينشأ فيها([3]).

- العمارة منشأة مؤلفة من كتلة و فراغات وظيفتها هي إستيعاب نشاط إنساني كالإسكان و العبادة و العمل و الدافع و شروطها المتانة و الراحة([4]).

-و نجد في تطور العمارة أنّها في القديم قد ابتدأت قوامها الحجر و الخشب و كان الهدف إيواء الساكنين و حمايتهم من العدوان إلى جانب الحجر و الخشب ظهرت مادة الطين منذ بداية التاريخ أصبحت العمارة فن و علم يتطلب دراسة هندسيّة و إهتماما جماليا.

تم ظهرت أساليب و الطرز المعمارية التي تحمل هوية متميزة و جمالية خاصة.

---

[1]-قبيلة المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر و التوزيع، ط1، 2007، ص 15. 16.

*-ريمون بايير: هو صاحب نظرية علم الجمال.

[2]-عبد المعطي محمد، الإبداع الغني و تذوق الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،1985، ص 96.

[3]-شاخت وبزورت، تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس و إحسان صدقي، عالم المعرفة، ط1، 1985، ص14.

[4]-عفيف البهنسي، العمارة و المعاصرة، دار الشرق للنشر دمشق، ط1، 2005،ص7.

-لقد كان الهم الأول أن تقيم المعماري الجدران و الثاني أن يقيم السقوف فقد كانت السقوف في العمارة البدائية مسطحة أو شبه بالقباب و كانت مادة السقوف الأغصان و الطين ثم تطورت عمارة القباب فأصبحت مداميك الدائرية من الطين أو من الحجر و كذلك تطورت عمارة العقود و الأقواس.

-و قد كانت الأعمدة عنصر إنشائي إلزامي لحمل السقوف ثم تحول إلى عنصر جمالي تجمعت فيه عبقرية المعماري في تصميمه.

- و إذا كان تطور الإنشاء في العمارة هاما ،فإن المعماري لم يبخل في جميع مراحل تطور العمارة عن ابتكار الشكل الفني، فالعمارة حجم فراغي مؤلف من سطح قائمة و أفقية و من ذوات مختلفة الأشكال و من فتحات تبدوا على شكل نوافذ أو أبواب، كان على المعماري أن يستفيد من هذه التشكيلات الوظيفية لكي يحقق الانسجام و التآلف الجمالي([1]).

[1] - عفيف البهنسي، المرجع نفسه، ص7. 8.

المبحث الثاني: العمارة الإسلامية و نشأتها.

1. ما هية العمارة الإسلاميّة:

تطلق هذه التسميّة على العمارة التّي أنجزت في المناطق التي فتحها المسلمون، و انتشر فيها الدين الإسلامي و التي اعتنق كل أهلها أو قسم منهم هذا الدّين ، و هكذا انتشرت هذه العمارة في كامل المناطق الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى الصين شرقا و قد وصل تأثيرها إلى غاية أوربا حتى مشارف فرنسا.([1]).

و يمكن تحديد محورين لتحديد مفهوم العمارة الإسلاميّة :-المجال الأول يعتمد أساسا على العامل الجغرافي، و من هذا المنطق فان العمارة الإسلامية هي مجموعة المباني و المنشآت المتواجدة في مدن الإسلام أو تلك المناطق التي كانت تابعة في يوم من الأيام إلى حاضرة الإسلام.

-أما المجال الثاني و هو التاريخي فإن تاريخ العمارة الإسلامية يمتد من القرن السابع إلى بداية القرن التاسع عشر ميلادي أي منذ ظهور الإسلام إلى بداية القرن الذي سيطر فيه النموذج الغربي في جميع مجالات الحياة و فرض تصوراته السياسيّة و الاقتصاديّة و الفنيّة([2]).

و يعود استخدام مصطلح العمارة الإسلامية إلى الدراسات التي قام بها المستشرقون، و تناولوا فيها المشرق الإسلامي و عمائره على مدى القرون القليلة الماضية.

---

[1]-بلحاج معروف، العمارة الدينية الاباضية لمنطقة وادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، 2002، ص5.

[2]- زغلول سعد عبد الحميد، العمارة و الفنون في الدولة الإسلام، المرجع السابق، ص1-3

فنظرا إلى ارتباط المجتمعات بالإسلام كمصدر عام لثقافتها و إلى وجود علاقة واضحة في المضمون و الشكل بين عمائر هذه المجتمعات و مدتها و نظرا إلى كون الإسلام هو المرجع الثقافي العام الذي يوجد بين الشعوب المتخلفة الأعراف و اللغات، فقد اتفق على تسمية النّتاج العمراني لهذه الشعوب و المجتمعات الإسلاميّة، و نظرا لاختلاف العمارة الإسلاميّة في الشكل والمضمون عن نظيرتها الغربيّة فقد ساعد توصيف هذه العمارة الإسلاميّة على فصلها و تميزها من نظيرتها الغربيّة ،و هو أضفى مشروعيّة معرفيّة على المصطلح هكذا حدث التطابق بين الثقافة و هكذا شاع استخدام مصطلح العمارة العربية الإسلامية([1]).

الحديث عن العمارة الإسلامية هو الحديث عن التراث، نحن العرب أمة تراثية تعشق التراث و تتغنى به، و تطرب له([2]).

و العمارة جزء من الثقافة و الذاكرة و التاريخ، و هي في كثير من تجلياتها متاحف فنية بكل ما للكلمة من معنى([3]).

العمارة الإسلاميّة هي من حيث المبدأ عمارة ذات مواد بناء تقليدية، و لقد كانت هذه المواد من نتاج الأرض، و من هنا تبدو العمارة الإسلاميّة لصيقة بالأرض و تبدوا في أحيان كثيرة كأنّها امتداد طبيعي لها.

[1]-ناصر الرباط، ثقافة البناء و بناء الثقافة: بحوث و مقالات في نقد و تاريخ العمارة، بيروت رياض، 2002، ص23. 33.

[2]- هاني محمد القحطاني، مبادئ العمارة الإسلامية و تحولاتها المعاصرة،المرجع السابق، ص530.

[3]- المرجع نفسه، ص536.

لقد فهمت العمارة الإسلاميّة حدود و إمكانيات تلك المواد و أتت مبانيها تعبيرا مباشرا على تلك المواد و لذلك فالعمارة الإسلامية عمارة مكان إنّها لصيقة بالأرض و امتداد مباشر لها و هي بذلك تعبير جغرافي بامتياز([1]).

إن الاتساع الجغرافي و المدى الزمنّي للعمارة الإسلامية، يجعلان منها بالضرورة عمارة كونيّة حافلة بكثير من التجارب على أكثر من صعيد،و عندما يتعلق الأمر بالبيئة فان العمارة الإسلامية تعبير بيئي بالامتياز([2]).

و العمارة الإسلاميّة هي عبارة معبرة عن فكر و وجدان الإنسان المسلم إضافة إلى عقيدته، فرغم أن معظم الحضارات كانت ذات طابع ديني إلاّ أن العمارة الإسلاميّة كانت عمارة ذات لغة خاصة([3]).

2. نشأة العمارة الإسلامية

استفاد المسلمون في بداية عهدهم بتجارب و خبرات الأمم التي دخلت في الديانة الإسلاميّة، و من الطبيعي جدّا أن يتأثر بعنوان تلك الأمم خصوصا أن العرب لم يصلوا بعد إلى استخدام تلك الأساليب المتطورة في مجال العمارة و البناء و ما يشبعها من الزخارف المتنوعة و هكذا تأثير المسلمون بالفن الساساني و البرزنطي والهلنستي والقطي ([4]). و هذا حال الحضارات

[1] -المرجع نفسه، ص537.
[2] - المرجع نفسه، ص538.
[3] - رنا إسماعيل اليسير، تاريخ العمارة بين القدم و الحديث، إثراء للنشر و التوزيع اللأردن،ط1، 2010، ص137.
[4] - معروف بلحاج، العمارة الدينية الاباضية وادي مزلب، المرجع السابق، ص5.

التّي تتأثر فيما بينها. إذ لايمكن لأي شيء أن ينشأ من عدم فلا بد أن يستفيد من الفن المستحدث من خبرات السابقين و يعتمد عليها في البداية لكي ينطلق و يكوّن شخصيته، فالفن اليوناني مثلا إعتمد في بداية ظهوره على الفنون الشرق الأدنى و بصفة خاصة الفن الفرعوني.

قام المعماري المسلم باستغلال تلك التجارب المعماريّة البدائيّة و صاغها و طورها على حسب احتياجات ديانته التي أضفى عليها طابعا خاصا.

و بمرور الزمن أتت العمارة العربيّة الإسلاميّة بخصوصياتها المتميزة التّي ضمنت مكانتها ضمن العمارات الأخرى و أصبح من الصعوبة بمكان محاولة تمييز تأثيرات الفنون الأخرى عليها و لا بد من الإشارة إلى أن هناك عاملين أساسين ساهما بقوة في تشكيل و بلورة العمارة و هما:

- العامل البيئي: انتشر الإسلام في إقاليم تختلف عن بعضها في بيئتها الطبيعية من تضاريس و مناخ و كان لهذا الإختلاف أثره على تشكيل الفن المعماري الإسلامي و هكذا كان للعماران المحلية نصيبا هاما من تبلور هذه العمارة ([1]). فحيث كانت الصحراء -باعتبار أن معظم الأقاليم الإسلاميّة تقع في بيئة صحراوية- نجد المباني قد تتأثر بتلك البيئة الصحراوية فبدأت بصمات هذه البيئة المعمارية.

واضحة عليها و انطلاقا من التنوع البيئي برز تنوع في الطرز المعماريّة و المدارس الفنية.

[1]-رئيف مهنا ويسن بحر، نظريات العمارة، المرجع السابق، ص69

- **العامل الديني:**

كانت تعاليم الدين الإسلامي الحنيف أثركبير في صياغة تكوين الفن المعماري الإسلامي و بما أنّ الإسلام قد فرض إقامة الصلاة مثلا في اتجاه الكعبة فقد جاءت كل المباني الدينية."المساجد و المصليات الجنائزية و المدارس و الأضرحة...الخ. مرتبطة أشدّ الارتباط بهذا الاتجاه و بعد استيطان العرب المسلمين في المدن الحضرية و اختلاطهم بالأجناس و الأمم الأخرى. ظهرت العمارة الدينيّة الإسلاميّة في ثوب جديد لكنها بقيت وفيّة لتقاليد معمارية مستوحاة في الدرجة الأولى من الدّين نفسه و من البيئة الصحراوية التّي احتضنتها. ([1])

كانت العمارة الإسلامية ترتكز في أول ظهورها على مجموعة من العناصر المعمارية و الزخرفيّة التّي تتفق وروح الديانة الإسلاميّة ،مما أضفى على منجزاتها طابعا متميزا يكاد متشابها في كل الأقطار الإسلامية([2]).

و تعود نشأة العمارة العربية الإسلامية إلى بداية استقرار المسلمين بيثرب- المدينة المنوّرة- حيث بدأت بسيطة وصارت بطيئة،ثم تطورت باستلهام فنون البلدان المفتوحة و الاستعانة بخبرة أهلها([3]).

[1]- ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف القاهرة، د ط،، 1981، ص14.

[2]- بلحاج معروف، العمارة الدينية الاباضية لمنطقة وادي ميزاب، المرجع السابق، ص6.

[3]-ينظر إسماعيل سامعي، عالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، 2007، ص131.

و لقد مرت العمارة الإسلاميّة بمراحل ثلاث خلال فترة تطوّرها:

✓ أولا: مرحلة البساطة:

كان من العمارة في الإسلام غاية في البساطة و السذاجة، فلم يكن في مكة إلاّ معابد قليلة و كانت منازل الأغنياء تبنى بالحجارة أو اللبن بينما كانت معظم مباني المدينة من اللبن الذي كان يتهدم بسرعة و كانت المنازل في الغالب طبقة واحدة و لها فناء و في وسطها بئر([1]).

و ترجع هذه البساطة إلى عوامل ثلاثة هي:

- اشتغال المسلمين بحركة الفتوح الإسلامية و توجه الناس إلى نشر الإسلام.
- كان العرب البدو يميلون إلى السكن في الخيام، وذلك لكثرة ترحالهم و المسجد الذي بناه الرسول صلى الله عليه ة سلم هو نقطة بداية العمارة الإسلامية.
- عدم توفر الخبرة و الإمكانيات الأساسية لإقامة المشاريع العمرانية الضخمة.

✓ مرحلة التقليد و التمثيل:

✓ و تبدأ هذه المرحلة بتوفر الاستقرار و انتهاء حركة الفتوح الإسلامية و تحول مركز الخلافة و النظام الملكي وراثي و اقتبسوا من الدول التي حكموها و ما لبثوا إلا قليلا حتى أصبح كل شيء عربيّا و لم نعد نميّز التأثيرات المختلفة للشعوب و حضارتها([2]).

[1]-ينظر على حسن الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية،مرجع سابق، ص293.

[2]- ينظر إسماعيل سامعي، عالم الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص532.

✓ **ثالثا: مرحلة الإبداع و العطاء.**

إن بدايتها الحقيقية إلى أواخر القرن الأول للهجرة و بداية الثاني إي أواخر الدولة الأموية "41. 132. 748/661م" فتكون بهذا العمارة الإسلامية تكونت حقيقة في الشام و تبلغ الذروة في العصر العباسي، و قد استطاع العرب المسلمون بعد الاستحواذ على قواعد، و أنماط فنون البلدان المفتوحة أن يطحنوا أصولها، و يصيروها فنا معماريّا عربيّا إسلاميّا خالصا([1]).

وعلى الرغم من أن العمارة الإسلاميّة قد توزعت في بلاد مختلفة، لم تستلهم ثقافتها الأولى وحدها، بل تأثرت بكل بلد حلّت فيه فاختلفت العمارات بالاختلاف البيئات، و أصبح لكل بيئة أثرها في عمارتها فحيث كانت الصحراء تجد المباني قد تأثرت بتلك البيئة، فهذه الصحاري برمالها المنبعثة و تربتها المفسحة و أرضها الجرداء التي لا ينبض فيها نبات و لاماء و لا حيوان و بسمائها الصافية و نجومها المتألقة ليلا قد أذكت الفكر فنشطت علم الفلك و الرياضيات، كما أضفت على روح الفنان العربي أثرا... أي أثرت فأثارت وجدانه و ألهمته أن يحكي فيها و أن يبدع و أن يطبع له ما ينشئ، من أجل ذلك جاءت العمارات تحكي ما يقع عليه البصر في الأرض و ما يمتد إليه الطرف في السّماء فكانت تلك الأهلة التّي وجهت المآذن، ثم كانت تلك القباب التّي تحكي قبة السّماء و كانت للريح السّاخنة المحملة بالرمال الحارقة أثر في إنشاء الدور و المساكن، فأحيطت بجدران صماء تحميها من نفثات ذلك الحريق، على حين تركت صحونها

[1] - المرجع نفسه، ص332.

مكشوفة عارية من السقوف كي تصل قاطنيها بتلك السّماء التّي كان البدوي يفزع إليها طلب للغوث و هربا من الوحشيّة فلم يشأ أن يحجب ما بينه و بين مأوى روحه، إذ كان يعد الفرجة في سقف إلى السّماء أو جزءا من السّماء قد شده إلى بيئته.

و كما كانت للبيئات الصحراوية أثرها في توجيه الفن المعماري و طبعه بطابع متميز يمثل تلك البيئة في الكثير من مظاهرها، كذلك كانت للتعاليم التّي نزل بها الدين الإسلامي هي الأخرى لها أثرها في الفن المعماري([1]).

فالإسلامي يعد كل بقعة من الأرض ظاهرة يحوز للمؤمن أن يؤدي عليها ما فرضه الله من صلاة لذلك جاءت المساجد أول ما جاء في الإسلام صحونا متسعة تسود بجدران إذا كان لابد من أن يتوجه المسلمون في صلاتهم إلى القبلة. جاء بناء المساجد مرتبطا كل الارتباط بهذا التوجيه الديني و قد حمل فن العمران في ظلّ الإسلام تجديد معماريا جديدا إذ ربط هذا الفن المعماري بين المسجد و الكعبة في مكة المكرمة و مزاوجة التعبير المعماري بين الأوّل الذّي أحسنه ساكن البادية من صلة بالسّماء من خلال صحن داره المكشوف مع التعبير المعماري الجديد المستوحى من صلة العابد بالأرض([2]).

[1]-إياد صقر، الفنون الإسلامية، عمان مجدلاوي، ط1، 2003، ص34.

[2]-المرجع نفسه، ص35.

المبحث الثالث: خصائص العمارة الإسلامية وأقسامها:

1-خصائص العمارة العربيّة الإسلاميّة:

للعمارة الإسلاميّة مقاييسها الجماليّة إلى جانب مميزاتها وأوّل خاصية تتميز بها العمارة الإسلامية و هي الامتداد الأفقي الذّي يرى البعض أنّه ربما نابعا من طبيعة الصحراء الثابتة، حيث لا يرى إلاّ الأفق الممتدة هذا، كما أنّ خاصية الامتداد الأفقي تمثل فكرة المساواة بين إفراد الجماعة الإسلاميّة الذّين يقفون في الصلاة في صفوف متماثلة الإسلام و كذلك التتريه([1]).

- التركيز و الانفتاح على الدّاخل ذلك أن أغلب الأبنيّة العربيّة تصمم بحيث تكون تنظر إلى الداخل و هي بذلك تنفتح على فناء مفتوح إلى السّماء أو ما يسمّى أحيانا الحوش أو أرض الديار...الخ.
- و كانت تقف خلف هذا الانفتاح على الدّاخل مجموعة من العوامل المناخية و الاجتماعيّة و الروحيّة و الوظيفيّة و الإنشائيّة و حتّى الدفاعيّة، و في الأبنية التّي تخلو من الفناء يسعى المعماري المسلم إلى التأكد على مركز أو وسط المبنى مما يحقق مبدأ التركيز على الداخل.
- الاهتمام بالواجهة الدّاخلية و كرائها قياس بالوجهات الخارجيّة حيث أن النسيج الحضري للمدينة الإسلاميّة نسيج تقليدي مكتظ و متراص، لذا فإن واجهات الأبنية الخارجية

[1]- زغلول سعد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 195.

تكون أقل مساحة، في حين يتوجه المبنى نحو الداخل فتكون مساحة الواجهات الداخليّة أكبر،كمّا أنّ احترام الإنسان المسلم للمجتمع ورغبته في أن يكون جزء من هذا المجتمع كل غير متميز عن أقرانه،جعلت من الواجهات الخارجيّة بسيطة متقاربة في معالجتها حتّى إننا لا نميّز بين بيت الغنّي و الفقير مثلا: حين ندخل إلى الداخل فتكون الواجهات الداخليّة متميزة حسب المستوى المعاشي للشخص أو أكثر ثراء و غنى من الواجهات الخارجيّة.

- المرونة و قابلية الامتداد الأفقي و التوسع دون الإخلال بوظيفة و جمالية المبنى أو أكثر ما يتضح هذه الميزة في المساجد، فنجد المساجد تتوسع مع زيادة عدد المصلين و تمتد أفقيا و حيث أن التصميم مستند إلى الوحدة المتكررة فإن هذا التوسع يكون دون أن يخل بالواجهة أو المخطط أو النسب الجميلة التي تحكم الاثنين.

- الحفاظ على المقياس الإنساني رغم ضخامة أبنيتها من خلال التجزئة و التدرج و التكرار، و هذا أكثر ما يتضح في البوابات حيث نجد أن مقياس يصبح كبيرا للمبنى، أمّا شعورنا بمقياسه الإنساني فلا يتأثر ذلك أنّ المعماري المسلم كان يحرص على التواضع و الحفاظ على المقياس الإنساني، فكان يلجّا إلى تجزئة السطح الكبير و استعمال التدرج فتدرج العنقودي في البوابة مثلا حتّى تكون محققة للمقياس الإنساني، و كذلك أسهم مبدأ التكرار في تحقيق هذه السّمة ،ذلك أن التكرار الأعمدة في فضاء المصلّى مثلا تجعلنا نستشعر الفراغ بين العمودين ضمن الفراغ الأكبر الذّي يشكل المصلّى و حتّى عند تقليل عدد الأعمدة و اللّجوء إلى القباب

لتسقيف المنشأ. كان تعدد القباب و تدرجها في الحجوم وسيلة لإبقاء الشعور بالمقياس الإنساني و المقرنصات التّي ابتكرها المعماري المسلم كانت وسيلة إنشائية و جمالية كما أنّها تنقلنا تدريجيا بين حجم الفضاءات لتحافظ على مقاييسها الإنساني.

- مواءمة الشكل و الوظيفة مع استخدام ذات الشكل لوظائف مختلفة، و إمكانية تعدد الأشكال والطرز لأبنية بذات الوظيفة، و يتضح ذلك بتعدد الطرز للمساجد مع أنّها تحقق نفس الوظيفة ،كما أنّ ذات الشكل قادر على تحقيق أكثر من وظيفة في نمط الإيوانات الأربع الذّي اعتمد أولا في المساجد و نجده في المدارس و القصور و المسكن و غيرها.
- الهندسة و التناسب المدروس و التكرار و المحوريّة الواضحة مع اعتماد التناظر لتأكيد الهيبة و الرسمانية في الأبنية ذات الوظائف التّي تستوجب ذلك([1]).

* التجريدية العالية التّي قادت هندسة الزخرفة و تقليل الصور الآدميّة و الحيوانيّة مع ابتكار فنون الخط العربي و توظيفها مع الزخرفة كابتكار عربي إسلامي بدون سابقة، كما أنّ في الأرابيسك (الجمع بين الزخرفة النباتيّة و الهندسيّة) يعتبر فنا عربي أصيل مع إبداع الفنان المسلم لأجمل المقرنصات التّي حققت هدفا زخرفيّا و إنشائيّا في آن واحد.

* تنوع أساليب الزخرفة في الفسيفساء القبشاني و الرخام و الآجر، كما تنوعت بين الزخارف النباتيّة و الهندسيّة أو كتابيّة أو حتّى تصويريّة و ذلك في بعض العصور و بعض البلدان.

[1]- قتيبة المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج و التوزيع، ط1، 2007، ص163. 164.

* الوحدة و التنوع على مستوى المدن و الأبنيّة و العناصر المعماريّة و الزخرفيّة،و يعمل العامل الجغرافي و التاريخي و الاجتماعي و الديني دورا كبيرا في وحدة و تنوع العمارة الإسلاميّة، فهذه السيمات تجمع العمارة في كل العالم الإسلامي ، و مع هذا فنحن بسهولة قادرين على تشخيص البيئة المكانيّة لهذه العمارة أو تلك، فالمسجد في العراق غير المسجد في الصين و غير ما هو عليه في شمال إفريقيا،كما أن مساجد العصر الأموي تميزت عن مساجد العصر المغولي مثلا: و تنوعت القباب و الآذن و لكنها كلها تحت مظلة العمارة العربيّة الإسلاميّة.

* التّدرج الفضائي في خصوصية الفضاء بدءا من الفضاء العام إلى شبه العام إلى شبه الخاص إلى الخاص، و هذا على مستوى المدينة المبنى الواحد.

* التناغم في العمارة الإسلاميّة، حيث تناغم الخط الأفق فهو خط أفقي ترتفع المآذن فقط فيه كعناصر عمودية إلى جانب تناغم الواجهات و تناغم مواد البناء.

* استعمال المشربات و الشناشيل و الرواشين لأسباب اجتماعيّة و مناخيّة و جماليّة([1]).

2. أقسام العمارة العربية الإسلامية:

تنقسم العمارة العربيّة الإسلاميّة بحسب وظائفها الأساسيّة إلى ثلاث أقسام وهي: العمارة الدينية: هي من أكثر العمائر الإسلاميّة القائمة و تشمل المدارس و الزوايا والأضرحة، و

[1]-المرجع نفسه ،ص165. 166.

تعتبر أهم أنواع الآثار المعمارية لما تتضمنه من طرز فنيّة أساليب معماريّة التّي تعبر عن طبيعة الحياة و نجد من أهم المنشآت الدينيّة المساجد الإسلاميّة، حيث بدأت ببساطة للغاية لم تكن لها شكل محدد و لم تكن منتشرة بل كانت الأرض جميع مساجد للمسلمين([1]).

و تعني كذلك المساجد و الجوامع شيدها المسلمون مبكرا بدءا من المدينة المنورة ثم مدن أخرى كالبصرة و الكوفة و الفسطاط و القيروان، حيث طوّر الأمويون هذه المساجد و جدّدوها و أسسوا جوامع أخرى مثل: الجامع الأموي بدمشق، مسجد الأقصى و مسجد الصخرة و جامع القيروان و غيرها من المساجد العظيمة([2]).

1) العمارة المدنيّة: و تشمل كل العمائر الخاصة بالحياة الاجتماعيّة من قصور و منازل و حمامات و مصانع و فنادق، بالإضافة إلى أعمال المنّافع العامّة من خزانات و جسور و قناطر و التّي لا تزال آثارها باقية في كثير من المدن السلامية([3]).

فنجد في العصر الأموي مثلا بين بعض القصور في البادية مثل: قصر المشى الذّي قيل أن الخليفة الوليد عبد الملك هو من بناه، أمّا عمارة المدن فقد أحيطت بأسوار منيعة للدفاع عنها([4]).

[1]- محمد عبد المنعم الجميل، الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة، 2003، ص325.

[2]- إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، 2007، ص332

[3]-محمد عبد المنعم الجميل، المرجع السابق،ص353.

[4]-إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلاميّة ،المرجع السابق، ص332

2) العمارة الحربيّة: و تمثل الحصون و القلاع و الأسوار التّي تتحصن بها المدن و ترد هجمات الغازيين و المتعدين، و نلاحظ أنّ المدن الإسلاميّة مازالت تحتفظ بهذه الأسوار و القلاع مثل: دمشق، بغداد و حلب و القاهرة([1]).

لقد اهتم الأمويون بتحصين المدن الإسلاميّة و تعميرها لمختلف الأبنيّة الحربيّة، و يذكر المؤرخون أنّ معاوية أسس مدينة جبلة و أقام لها حصنا فارجا عن الحصن الروماني القديم([2]).

المبحث الرابع: عناصر العمارة العربية الإسلامية.

إنّ المتأمل للعمارة العربيّة الإسلاميّة يشعر بنشوة و هو يتأملها و بالغيبوبة في جسدها، فتثير فيه حالة استئناس حيث تتوقف الحساسيات في الظهور، فهذه العمارة توحي عناصرها بفردية و استقلالية مميزة لها، و أهم هذه العناصر هي:

1. **الصحن"الفناء"**: و هو الفراغ المكشوف المحدد بوساطة حوائط أو مبان، فظهرت هذه الفراغات في عمارة أبنية بلاد الرافدين، و عمارة مصر القديمة،و كان يعرف بالمسقط ذو الفناء.

و ظهر الصحن لأول مرة في مسجد (الرّسول صلى الله عليه و سلّم)في المدينة المنورة، و قد شاع استعماله في المساجد التّي بنيت في عصر الإسلام و يتراوح شكل الصحن ما بين مربع و مستطيل، و ظهر أيضا في عصور بنّي أميّة و بني العباس، و أصبح فيما بعد واسعا ليسع عدد

[1]- المرجع نفسه، ص325.

[2]-محمد عبد القادر خريسات، تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة الدراسات الجامعية، ط1، 2000، ص 359.

كبير من المصلين، و ليساعد على تخفيف من درجات حرارة الجو و دخول التيارات الهوائيّة الباردة، و الصحن هو الحوش فهو رمز الحياة و يعتبر الحلقة الرابطة و المميزة لكل العمائر الدينيّة أو المدنيّة الإسلاميّة. و هو القلب المبنى و هو يعبر عن القلب في جسم الإنسان لأنّه جوهر المبنى الذّي تطل عليه الحجرات من جميع جهاته بألوانها و زخارفها و حلياتها حول الأبواب و الفتوحات ([1]).

2. المحراب:

و كلمة المحراب كلمة عربيّة قديمة وردت في معاجم اللّغة في مادة حرب و من معانيها:صدر المجلس و منه محراب المسجد, و قد تم إطلاق كلمة محراب على جدار القبلة ([2])

أمّا من حيث ظهورها في العمارة الدينيّة الإسلاميّة فيتفق مؤرخوا الفن على أنّ المحراب لم يتواجد في المساجد الإسلاميّة الأولى كالمسجد النبوي الشريف و مسجد البصرة و الكوفة، و لكنهم في المقابل اختلفوا في تحديد تاريخ نشأته و ظهوره داخل المسجد كعنصر معماري، فقد أرجعه بعض الباحثين اعتمادا على ابن بطوطة إلى عهد عثمان بن عفان(رضي الله عنه) و قيل أنّ مروان هو أوّل من بنّى المحراب، و لكن أغلبهم جعل بداية ظهوره في عهد ولاية عمر بن عبد العزيز بالمدينة المنوّرة فيما بين "88-90هـ/706-710م".

[1]- محمد حسين جودي،العمارة العربية الإسلامية،دار المسيرة، ط1، 2007، ص61.

[2]- رنا إسماعيل اليسير، تاريخ العمارة بين القدم و الحديث، إثراء للنشر و التوزيع،ط1، 2010، ص 149.

لقد اتخذ المحراب بالعمارة الدينيّة الإسلاميّة شكل فتحة مجوفة وسط جدار القبلة تتمثل وظيفته الأساسية في إيواء الإمام الذّي يؤم الجماعة ، بالإضافة إلى تعيين و إبراز اتجاه القبلة.

و قد أعطى أحمد فكري تفسيرا يبدو مقنعا حول بناء المحراب في شكل تجويفه أو حنيته ففي رأيه فالإمام الذّي يتقدّم المصليين يكون منعزلا عنهم، فيحتل بذلك صفا بأكمله أي يحتل فضاءا واسعا في المسجد.

و بما أنّ المهندس المسلم كان يحرص دوما على استغلال كل الفضاءات المتوفرة لديه قدر الإستطاعة ، فقد عمد إلى فتح تجويفه داخل جدار القبلة تكون بقدر نسب الإنسان أو تزيد عنها ليأوي إليها الإمام بحيث تسمح له بأداء الفرائض الصلاة من سجود و وقوف بارتياح و دون عناء.

و لإبراز المحراب داخل بيوت الصلاة كعنصر هام، فقد خصّه المهندس المسلم بعناية بالغة و أبدع و برع في تزيين و تنميق تجويفاته و الإطار المحيط بها بزخارف متنوعة نباتيّة و هندسيّة و كتابيّة وصلت حتّى الإسراف أحيانا و ذلك باستخدام مواد مختلفة مثل: الحجر. الجبص. الرّخام. البلاطات الزخرفيّة" ([1]).

[1]- معروف بلحاج، العمارة الدينية الاباضية وادي مزلب،أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، 2002، ص213. 214.

- من وظائف المحراب تحديد جدار القبلة لأنّ في المسجد أربعة جدران و لهذا اتخذ المحراب لتمييز عن باقي أجزاء المسجد، و كذلك يقوم المحراب بتضخيم صوت الإمام أثناء تأديته الصلاة كي يسمعه جميع المصلين([1]).

3. **القباب**: تعد من العناصر المعماريّة المميزة في العمارة الإسلاميّة عامة و في العمارة الدينيّة بخاصة، و كانت محل نقاش كبير بين مؤرخي الفن حول أصل منشئها. فكان أول ظهور للقبة في العمارة الإسلاميّة في مسجد قبة الصخرة، أمّا ظهورها المبكر في بلاد المغرب فكان في جامع القيروان([2]).

ترمز القبة حسب ثروة عكاشة إلى الاتجاه الرأسي للمكان المقدس نحو السماء، إذ أن للمسجد في رأيه اتجاهان:

اتجاه أفقي نحو الكعبة و اتجاه رأسي نحو السّماء و لقد رمز المعماري المسلم إلى اتجاه الأخير بعنصر القبة.([3])

و ظهرت القباب بأشكال و أنواع عديدة كالمضلعة التّي وجدت في قبة السيّدة رقية الكرويّة التّي وجدت في جامع الحاكم الأزهر و نصف الكرويّة و البيضاويّة التّي ظهرت في

---

[1]-أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي منذ بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين، أطروحة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة تلمسان، 1993، 1994، ص13.

[2]- أحمد فكري، المسجد جامع القيروان، مطبعة المعارف القاهرة،د.ط، 1996، ص87.

[3]- ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف القاهرة، دط، 1981، ص101.

مصر في عصر المماليك و المخروطيّة المقرنصة من الدّاخل التّي ظهرت في العراق في العصر السلجوقي([1]).

4-المأذنة:

كلمة مشتقة من الفعل أَذَّنَ و أُذِّنَ بالصلاة أي أعلم و دعا إليها، و أذّن إليه تعني استمع إليه إذنا به ، و أذّن بالشيء أعلّم به، أذّن أي إيذنا بالأمر أي أعلمه به، وأذّن تأذينا بالصلاة أي أعلم بها ودعا إليها، واستأذن أي طلب منه إذن ([2]) .

وأذنه في القران الكريم قوله تعالى([3])

و تعد من العناصر المعماريّة الأساسيّة المتميزة في عمارة المساجد و أصبحت رمزا يدل على قيام المسجد و يزيد من شموخه و رفعته و لعلّ تلك الأهميّة كانت السبب الأساسي في تحصيها بالرعاية اللاّزمة و العناية الكبيرة من قبل المعماري المسلم.

مما أدّى إلى تطورها و تنوع طرازها، و يتفق مؤرخوا الفن على أوّل ظهور للمئذنة كان في الجامع الأموي بدمشق و يعود تاريخها إلى العصر الأموي حيث استخدمت الأبراج القديمة للمعبد الوثني كمآذن.

لقد كانت وظيفة الآذان تقام قبل ذلك من أعلى سطوح المساجد إقتداءا بمؤذن الرّسول (صلّى الله عليه و سلّم)و تتمثل الوظيفة الأساسيّة للمئذنة في إعلان أوقات الصلاة، بواسطة

[1]- محمد حسين جودي،العمارة العربية الإسلامية،المرجع السابق ، ص74.

[2]- صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الجزائر، 1986، ص12.

[3]- صورة البقرة الآية279.

المؤذن الذّي يسعى من خلال صوته إلى دعوة النّس إلى الصلوات الخمسة، الصلاة خمس مرات في اليوم. حتّى أقاصي أطرف المدينة و بالإضافة إلى ذلك تستخدم المئذنة لمراقبة الأهلة و لأداء هذه المهام على أحسن و وجه كان لابد من اختيار أعلى موقع في المدينة.

عرفت المئذنة بتسميات عديدة حيث أطلق عليها تسمية المئذنة انطلاقا من وظيفتها الأساسيّة التّي تؤديها كمّا سميت بالمنارة نضرا لتشابهها الكبير بمنارة الإسكندريّة، يمكن حتّى أن تكون مصدر إلهام لها، وأطلق عليها كذلك اسم الصومعة ويرجع هذا ربّما إلى أن العرب كانوا يسمون أبراج الزهاد بالصوامع([1]). وقد وردت هذه التسمية حتّى في القرآن الكريم في قوله تعالى([2]).

واختلفت هذه المآذن في أشكالها،ففيها ما بنيّ على شكل أسطوانة تقع على قاعدة مرتفعة كما في مساجد العراق، ومنها ما بنيّ على شكل مربع كما في مساجد الشّام حتى القرن الثالث عشر الميلادي، ومنها ما بنيّ على شكل حلزوني مثل مئذنة الجامع الكبير وجامع أبي دلف في السمراء وجامع ابن طولون في مصر، وتعد هذه المئذنة فريدة من نوعها في العمارة الإسلاميّة.

وفي إيران بنيت المآذن المثمنة الأسطوانيّة في القرن الحادي عشر للميلاد، وأصبحت تزين بالزخارف الهندسيّة المكسوة بالبلاط المزّجع ، وأصبح لمعظم المساجد الإيرانية في القرن الخامس عشر ميلادي مئذنتان تحفتان بالمدخل.

[1]- معروف بلحاج، العمارة الدينية الاباضية وادي مزلب،المرجع السابق ، ص219 .

[2]- سورة الحج الاية40.

وتميزت المآذن المصريّة في العصر الفاطمي باستخدام ثلاث طبقات فمنها المربع ثمّ المثمن ثمّ الأسطواني.

وظهرت في العهد العثماني مآذن طويلة ممشوقة مضلعة ذات قمة مخروطية([1]).

5- المنبر:

يرى ابن منظور أنّ المنبر هو مرقاة الخاطب، وسميّ منبرا لارتفاعه وعلوه، وانتبر الأمير: ارتفع فوق المنبر، وهو مشتق من النبر وهو العلو والارتقاء في الصوتو في رسم الحروف([2]).

أدخل المنبر لأول مرة في المساجد الإسلاميّة ففي البداية كان الرّسول (صلّى اللّه عليه وسّلم) يستند إلى جذع النّخلة عندما يريد أن يلقي خطبة على جمهور المصلين، فأوعز إليه تميم بن الداري بصنع منبر كما في كنائس الشّذام، وتبنّى الرّسول(صلّى الله عليه وسلّم) الفكرة فأمر أن يصنع له منبر خشبي ذو ثلاث درجات، وتبعا لهذا التقليد صنع المسلمون من بعده منابر لمساجدهم إلاّ أنّهم أضافوا إليه درجات أخرى. ولقد استعان المسلم بمواد متنوعة لبناء المنبر وتشكيله، فظهرت المنابر الخشبيّة والحجريّة والرخاميّة ([3]) .

[1]- محمد حسين جودي،العمارة العربية الإسلامية،المرجع السابق ، ص72

[2]- حسين مؤنس، المساجد، عالم المعارف الكويتية، 1981 ، دط ،ص72 .

[3]- معروف بلحاج، العمارة الدينية الاباضية وادي مزلب،المرجع السابق ، ص321

واستعمل المنبر لأغراض التوعيّة الدينيّة والإرشاد والعوض الدينّي في خطب صلاة الجمعة وكان يصنع المنبر من أنواع الخشب الجيّد والمرمر والرّخام، واستعملت فيه الزخارف الإسلاميّة وخطوط الآيات القرآنيّة([1])

6-الأروقة:

و هي الساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة أي بين صف أعمدة و جدار ويشترط أن تكون موازية لجدار القبلة أو ممتدة من الشمال إلى الجنوب.([2]).

تقام الأروقة عادة في مقدمة الأواوين و الحجر في الطابق الأرضي و أمام الغرف في الطابق العلوي بشكل ممر مكشوف الوجه، و سقفه معقود من الأعلى بمجموعة من العقود وكانت الأروقة تطل على جانب واحد أو جانبين أو تحيط بالصحن من جميع جهاته و استخدم العرب الأروقة منذ العصور قديمة تم استحدث استخدام الأروقة لأوّل مرة في دار الإمارة في الكوفة في عهد الإسلام الأوّل.

ظهرت الأروقة في بيوت العباسيّين وقصورهم في سامراء، و القصر العباسي في بغداد وفي المساجد. و إنّ سبب استخدام الأروقة توفير المساحات المظلّلة تحيط بالصحن و تخفيف حرارة الشمس صيفا و تسهيل السير و التنقل فيها و توفير الحماية من الأمطار في فصل الشتاء([3]).

---

[1]- محمد حسين جودي،العمارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص78

[2]- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية مكتبة مدبولي، ط1، 1999، 167.

[3]- محمد حسين جودي،العمارة العربية الإسلامية،المرجع السابق ، ص65

7-المداخل و الدهاليز و الأبواب و النوافذ:

ظهرت المداخل في المساجد و القصور و المباني الإسلاميّة الكبيرة و استخدم العرب المداخل منذ أقدم العصور التاريخيّة.

و للمداخل عتبتان سفلى و عليا، و توضع الأبواب عادة في مداخل عميقة و عالية جدّا قد تصل إلى أعلى البناء أو تزيد عنه أحيانا، و تكون قمة المدخل عادة ربع كروية و محمولة على مقرنصات أو نصف قبة، و تسدّ هذه الأبواب فتحت المداخل، و وجدت الأبواب لتحافظ على حرمة البيت أو المبنى، و كان بعض مداخل الأبواب يطلق عليها اسم الخوخات، و لعلّ سبب استعمال هذا النوع من المداخل في البيوت و القصور هو تقصير المسافة دون الحاجة إلى فتح الأبواب الكبيرة إلاّ عند ضرورة الخروج، كمّا أنها تبعث الطمأنينة و المحافظة على حياة من في داخلها.

و قد يؤدي المدخل إلى الدهليز أو الممر يصل بين الشارع و الدّار و يكون بوجه عام مستطيل الشكل مستقيما و أحيانا يكون على شكل منكسر.

أمّا الأبواب فتتحرك عند الفتح و الغلق بواسطة صنارة بارزة تصنع من الحجر أو الصخر أو من الخشب المزخرف بزخارف دقيقة أو من الخشب المصفح بالنّحاس المزخرف بأشكال هندسيّة أو نباتيّة([1])

[1]- محمد حسين جودي،العمارة العربية الإسلامية،المرجع السابق ، ص66

8-العقود:

تعتبر العقود من العناصر المعماريّة الإسلاميّة التّي تنوعت بأشكالها، و هي كلمة مفردها عقد و يطلق عليه بالإنجليزية كلمة ARCH و هو عنصر معماري مقوس يرتكز على نقطتي الإرتكاز، ويستخدم في تشكيل فتحات في البناء من أبواب ونوافذ ومداخل ويحيط بها، كمّا أنّه استخدم في رقبة القباب وأسفلها و نقل أحمالها إلى الركائز والأعمدة لتخفيف الحمل،وللعقد أشكال كثيرة ومتعددة ولكنّها تندرج جميعا تحت نوعين أساسيين هما:

أ-العقد النصف دائري: هو عبارة عن نصف دائرة ترتكز على نقطتي ارتكاز على الجانبين .

ب-العقد حاد الرأس: ويتشكل من قوسين اثنين مراكز الأقواس. ومن النوعين الأساسيين السابقين يمكننا استنباط أنواع العقود المختلفة التّي بلغ عددها إلى 12 عقد:

1-العقد الدائري.

2- العقد الدائري المدبب.

3- العقد الدائري ذو الفصوص.

4- العقد المخموس.

5- العقد الثلاثي.

6-العقد البصلي .

7-العقد المدبب.

8- العقد المدبب ذو المركزين.

9-العقد المركب.

10-العقد ذو المقرنصات.

11-العقد المزدوج.

12- العقد المتدخل ([1]).

9-الإيوان:

و هو من المميزات المعماريّة البارزة في البيت أو المسكن الإسلامي، و يطل الإيوان على الصحن و هو بناء له ثلاثة جدران يعلوا طاق كبير عال و سقف مكشوفا من واجهته الأماميّة. الإيوان يمثل المساحة المسقوفة التّي تمثل محطة إنتقال بين الغرف الجانبيّة إلى فضاء العائلي الخاص و بين الفناء الوسطي كفضاء عائلي و واجهته على شكل قوس مدبب ويبطن عادة بالمرمر إلى ارتفاع 3 أمتار و يكون على شكل مساحات مزخرفة و بأشكال هندسيّة أو نباتيّة أو مجردة.

و القسم العلوي مزين بالزخارف و كتابات جبصية بارزة لغرض المحافظة على انسجام الشبابيك و الأبواب فإن بقية الجوانب و صدره تستكمل باتجاه فجوات غائرة على شكل مشكوات مزخرفة و يعتبر الإيوان من المستلزمات الضرورية للبيت.

[1]- رنا إسماعيل اليسير، تاريخ العمارة بين القديم و الحديث، المرجع السابق، ص142. 143.

و اتخذت الأواوين كذلك للقيلولة أثناء فترة النّهار في حالة عدم توفر السرداب، و قد يوجد في الدّار الواحدة أكثر من إيوان كدار الإمارة في الكوفة وقصر الشعبيّة و بيوت قصر الأخيضر و بيوت سامراء العراق.

و كانت الأواوين تستخدم لجلوس الأمراء و العامة لاستقبال الضيوف([1]).

[1] - محمد حسين جودي،العمارة العربية الإسلامية،المرجع السابق ، ص63.

الفصل الثاني

الجـــــامع الأمـــوي

قال الله تعالى:

" إِنَّمَا يَعْمُر مَسَاجِد اللّه مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْم الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاة وَآتَى الزَّكَاة وَلَمْ يَخْشَ إِلّا اللّه فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ "

سورة التوبة الآية 18.

قال الله تعالى:

" فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ *رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ"

سورة النور الآيتين 36-37.

الفصل الثاني: الجامع الأموي.

المبحث الأول: ماهية المسجد و دوره في تكوين المدينة الإسلامية.

يعد المسجد أوّل منشأة معمارية تشيّد في المدينة الإسلاميّة ،و ذلك إقتداءا (بالرّسول صلّى الله عليه و سلّم) حين أمر بإقامة أوّل مبنى، و ذلك مباشرة بعد هجرته إلى المدينة المنورة، و منذ ذلك الحين ظهر المسجد كبناء مستقل تؤدى فيه وظيفة الصلاة، و قد اتبع المسلمون منهاج الرّسول (صلّى الله عليه و سلّم) فأقاموا في كل البقاع التّي فتحوها مسجدا أو أكثر. وتبرز أهمية المسجد و قيمته في حياة المسلمين في تلك الأدوار الهامة التيّ يؤديها داخل المجتمعات الإسلامية فبالإضافة إلى وظيفة الأساسية الأولى و هي أداء فريضة الصلاة يبدو المسجد بمثابة مؤسسة تربويّة و اجتماعيّة و سياسيّة و حتّى اقتصاديّة([1]).

1. تعريف المسجد:

لقد تعددت التعارف الخاصة بالمساجد و هذا ما نجده عند ابن منظور حيث يرّى أنّ المسجد بكسر الجيم اسم لمكان السجود، و المسجد بفتحها جبهة الرّجل أين يصيبه السّجود، والمسجد بكسر الخمرة و هي الحصير الصغير([2]).

[1] – بلحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد ميزاب و مصلياتها الجنائزية، دار قرطبة/ط1، 2007،ص183.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث، دار العرب بيروت، ط1، 1990، ص201

و يشتق لفظ المسجد من الفعل سَجَّد يَسْجُدُ سُجُودًا و هو كل موضع يتعبد فيه، والمسجد بكسر الجيم محراب البيوت و مصلّى للجماعات و جمعها المساجد، و يقال سجد سجدة ما أحسن سجدته أي هيئة سجوده([1]).

المسجد هو الموضع الذي يُسجد فيه، فحسب الزركشي :المسجد كل موضع يتعبد فيه لقوله صلّى الله عليه و سلم" و جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا"

و هذا من خصوصيات أمة محمّد (صلّى الله عليه و سلّم) لأنّ الأمم السّابقة كانّوا يصلون إلاّ في موضع يتيقنون طهارته، و لّما كان السّجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربّه و اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد و لم يقولوا مركع([2]).

أما عاصم محمد رزق فيقول: سجد الرّجل أي وضع جبهته على الأرض و سجد البعير خفض رأسه عند ركوبه و السّجّاد بتشديد السين و الجيم و فتحهما كثير السجود([3]).

و المسجد مبنى وظيفي رمزي دال على الهوية المستقلة للمجتمعات المسلمة المختلفة([4]). وذلك لأنّ المسجد يعتبر النّواة الأساسيّة للمجتمع الإسلامي، و أوّل و أهم صرح حضاري في

---

[1] – المرجع نفسه، ص98.

[2] – محمد عبد الله الزر كشي، إعلام المساجد بأحكام المساجد، القاهرة، دط، 1994، ص122.

[3] – عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مرجع سابق، ص282.

[4] – حنان قرقوتي، تخطيط المدن العمارة و الزخرفة، لبنان، ط1 ،2006،ص149.

تاريخ الإسلام، و يعد البنيّة الأولى للمنشآت الإسلاميّة منذ هجرة الرسول(صلّى الله عليه و سلّم) حيث بادر إلى إقامة المسجد النبوي بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة([1]).

و يعتبر المسجد من أهم المباني الدينيّة الإسلاميّة و الذّي يتميّز بعناصره المعماريّة المختلفة التّي قد لا نجدها في المباني الأخرى، إنّ المساجد الأولى التّي بنيت هي عبارة عن قطعة أرض متسعة مربعة تقريبا تحيط بها أربعة جدران أو خندق و في جهة القبلة سقيفة محمولة على عمد من جذوع النخل أو عمد منقولة و لم يكن للمساجد الأولى مآذن.

كما يعرف المسجد أنّه المكان الذّي تقام فيه الصلاة مهما كان هذا المكان بسيط، لكنّه عظيم لأنّه مقدس حيث لا تقاس عظمته بعمارته بل بتجمع النّاس و تراحمهم و بخشوعهم في الصلاة التّي هي عماد الدّين، فالمسجد هو المعبد في الإسلام و تبيّن الكثير من الآيات في القرآن الكريم.

عظمة و قدسية المسجد في قوله تعالى: "**سُبْحَانَ الّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**" ([2]).

و قوله تعالى :"**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوّلِ يَوْمٍ أَحَقٌّ أَن تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطّهّرِينَ** "([3]).

---

[1] – يحي احمد الكعكي، رسالة المسجد الوسيطة و الاعتدال و الحضارة، دار النهضة العربية، لينان، ط1، 2003، ص52.

[2] – سورة الإسراء، الآية 01.

[3] – سورة التوبة، الآية108.

و قو له تعالى: "وَأَنّ الْمَسَاجِدَ لِلّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَدًا"([1]).

كما يعد المسجد أوّل مركز في الإسلام له مكانه العلميّة و الدينيّة و السياسيّة، كثرت بعد ذلك المساجد و انتشرت في جميع البلاد الإسلاميّة رويّ عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لمّا فتح البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري و هو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجد للجماعة و يتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة أنظموا إلى المسجد الجماعة كما كتب رضي الله عنه إلى سعد أبي وقاص و هو على الكوفة، و كتب أيضا إلى عمرو بن العاص و هو على مصر.

و قد كان المسلمون يحرصون على بناء المسجد عند إنشائهم المدن لأنّه مظهر من مظاهر سيادة الدّين الإسلامي([2]).

و المساجد يعمرها الزّاهدون والمتصوفون و الذّاكرون الله كثيرا و العارفون بالله، وتعمرها حلقات الدّرس من الفقه و الحديث و المنطق و الكلام و مجالس الأدب من نحو و بلاغة و نقد و ندوات الاجتماع التّي تتعرض لسائر العلوم و يعمرها العلماء و الفقهاء و الأئمة و الأدباء ويقوى بها الضعيف و الغريب و يأنس إليها ابن السبيل و المسكين و يرفع صوته فيها الأمر بالمعروف و النّاهي عن المنكر و الرّاعي إلى الخير([3]).

---

[1] - سورة الجن، الآية18.

[2] -علي حسن الخريوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص262.

[3] - إياد صقر، الفنون الإسلامية، مرجع سابق، ص187.

و قد كان المسلمون في العصر العباسي الأول يقتصرون على استعمال رقعة الدولة الإسلاميّة وزاد عدد المسلمين بزيادة من دخل الإسلام من أهل البلاد التّي فتحها المسلمون تعددت المساجد في البلد الواحد كما تعددت الألفاظ التّي يطلق على أماكن العبادة فأصبح مسجد و الجامع وهو نعت للمسجد لأنّه مكان اجتماع النّاس و يطلق عليه المسجد الكبير.

و من ثم فقد أصبح للفظ الجامع مدلول سياسي في عهد الدولة الأمويّة، فقد عرّف بالجامع المسجد الذّي يتم فيه الخليفة أو من ينوب عن المسلمين في صلاة الجمعة أي أنّ لفظ الجامع أصبح يطلق على مسجد الدولة الرئيسي الذّي يعرف باسم المسجد الجامع([1]).

و كانت المساجد في عصر الخلفاء الراشدين و الأمويين مركزا من مراكز الحيّاة العامة، يجتمع فيه النّاس و تداع منه قرارات الدولة و فيه تدرس العلوم و الآداب و الفقه.

و اتخذ الخلفاء الرّاشدين من المساجد أماكن مختارة يحفظون فيها أموال المسلمين، ثم أصبحت المساجد في عهد الدولة الأمويّة هي كل شيء بالنسبة للخلفاء و الولاة و عامة النّاس([2]).

[1] - المرجع نفسه، ص188.

[2] - حسن الخريوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ، المرجع السابق، ص263.

2-نشأة المسجد:

بعد فترة قليلة من ظهور الإسلام بدأ النّاس يدخلون في دين الله أفواجا، و اشتّد الطلب على العلم فتعددت مراكز التّعليم و كانت البداية بالمسجد.

و لما دخل عليه الصلاة و السّلام إلى المدينة بنى مسجده ليكون مركزا للدولة الجديدة، ومكان للعبادة و تعليم المسلمين أصول الدّين و مبادئه، و كان صلّى الله عليه و سلّم يجلس في المسجد ليحكم أصحابه و من تبع دينهم و دنياهم([1]).

و يعتبر مسجد الرّسول (صلّى الله عليه و سلّم) النموذج الأوّل للعمارة الإسلاميّة، والذّي أنشأ أثناء هجرته إلى المدينة المنوّرة في السّنة الأولى للهجرة و 622م، فهو أوّل مسجد بنّي في الإسلام و سميّ بمسجد التقوى، و قد بنيّ في مربد التمر الذّي بركت فيه ناقة الرّسول (صلّى الله عليه و سلّم) بأسلوب بدائي بسيط يعتمد على خبرة بعض الصحابة ممن لهم دراية بالبناء([2]).

و بمرور الزّمن زاد عدد المساجد حتّ أصبح منها الآلاف في المدينة الواحدة و يقول اليعقوبي: حتّ أصبح في بغداد وحدها في القرن الثالث للهجرة التاسع الميلادي ثلاثون ألف مسجد.

---

[1] - الغزالي، فاتحة العلوم، مطبعة الموسوعات القاهرة، ط1، 1901، ص09.

[2] - حكيم بن يلس، العناصر المعمارية و وظيفتها و زخرفتها في المسجد، مذكرة ماجستير تلمسان،2003. 2004، ص09

و عليه فهذا العدد يشير إلى كثرة المساجد، و أهميتها في الحياة العرب و المسلمين وفهمهم لمهمة المسجد الذّي اتخذوه مكانا للعبادة و معهد للعلم، فأخذت الكثير من العلوم طريقها إليه([1]).

و هناك اختلاف في آراء حول مصدر مخطط المسجد، فترجح بعض الآراء إلى مخطط معبد يهودي معروف باسم دورأوريوس، الذّي تميز بالبساطة إذ يتكون من صحن مستطيل يتقدمه قاعة مستطيلة الشكل و قد فتح وسط جدران العرضي تجويف تحدد اتجاه القاعة نحو بيت المقدس و على الجانب الأيمن من التجويف يوجد سلم من أربع درجات يؤدي إلى خامسة أكبر عرضا و ارتفاعا تستعمل كمكان خاص لرئيس المجتمع اليهودي([2]).

أمّا الآراء الأخرى فترجع المسجد إلى مخطط الكنيسة من حيث بيت الصلاة إلى بلاطات، و ظهور ما يسمّى بالبلاطات الوسطى المستعرضة كعنصر معماري بارز هو العنصر الأساسي في تصميم الكنائس المسيحية و كل هذه الآراء التّي ترجع أصل المسجد إلى مصدر يهودي أو مسيحي إلى تأثير الفن الإسلامي بكل الفنون المحليّة فإضافة إلى تأثيره بالفن الهلنسي و البيزنطي فقد تأثر بالفن الساساني و القوطي و غيرها من الفنون المختلفة.

[1] – احمد بن أبي يعقوب المعروف اليعقوبي، البلدان، المطبعة الحيدرية، د ط، 1918، ص18

[2] -- بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب، مرجع سابق،ص168

ثم كثر إنشاء المساجد في أنحاء العالم الإسلامي و تطور الفن المعماري الذّي أصله التفكير الإسلامي يعتمد أساسا على التواضع حتّى أصبح الاعتناء بفخامة المباني نظرا للتطور أغراض المساجد([1]).

3-بناء المساجد:

من مظاهر اهتمام القرآن الكريم بالعمارة دعوته في عديد من الآيات إلى بناء المساجد وعمارتها و الثناء على من فعل ذلك و نسب المساجد إلى الله عزّ و جلّ و تسمياتها ببيت الله وفي هذا تشريف لها مالا يغيب على صاحب عقل و إن كان الله قد أثنى على بناءها و عمارتها فإنّه ذمّ من سعى في خرابها و دمرّها.

و من اهتمام القرآن الكريم بالمساجد تكرار ذكرها عدة مرات في القرآن فقد ورد ذكر لفظ المسجد اثنان و عشرين مرة و ورد ذكر بيت الله الحرام و هو أول مسجد يوضع للناس سبعة عشرة مرة، كما ورد المسجد باسم بيت الله مرة واحدة.

قال تعالى في تعظيم شأن من يعمر المساجد:" **إِنَّمَا يَعْمُر مَسَاجِد اللّه مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاة وَآتَى الزَّكَاة وَلَمْ يَخْشَ إِلّا اللّه فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ** " ([2]).

---

[1] - المرجع نفسه، 169.

[2] - سورة التوبة، الآية18.

و قال في ذمّ من منع من عمارة المساجد: " **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** "([1]).

و الله عز و جل لم يطلب من المسلم أي فعل بنائي باستثناء عمارة المساجد فقد أذّن أن ترفع المساجد باسمه، و في هذا دليل قاطع على وجوب بناء المساجد و هو من باب الخبر الذّي يفيد الوجود([2]). قال تعالى: " **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ *رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ** "([3]).

4-وظيفة المسجد:

إنّ لمن المجحف حقا أن نقول، أنّ وظيفة المسجد الجامع في الحياة الإسلامية عبر تاريخها الجهادي الطويل، كانت تقتصر على تأدية الصلاة كوجه أحادي من وجوه العبادة فنحن لا شك أنّه كان للمسجد وظائف أخرى شكلت بكل حرية قوامه الروحي.

و من هذه الوظائف مثلا الجانب الثقافي، إذ كانت تدور في أروقته و حول أعمدته حلقات الدروس و الوعظ و الإرشاد هذا ،بالإضافة إلى الجانب القضائي، إذ كثيرا ما كانت

---

[1] - سورة البقرة، الآية114.

[2] - بلحاج طرشاوي، العمارة الإسلامية أصولها الفكرة و دلالاتها الثقافية و البيئة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفنون، 2006. 2007. ص154

[3] - سورة النور: الآية 36.

تعقد فيه جلسات القضاة الذّين ينظرون في شؤون أبناء المسلمين وشكاواهم و منازعاتهم ومسائل خلافاتهم الدينيّة و الدنيويّة.

و إذا كان المسجد كما نرى دار للقضاء، فقد كان بالتّالي معهدا أولانيّا للتعليم. فنحن نعرف أنّ السلطة الإسلاميّة منذ عهد الرّاشدين و حتّى منتصف القرن للهجرة، لم تكن مسؤولة عن تعليم الجامعة الإسلاميّة، بل كانت هي مسؤولية الأمة الإسلامية نفسها([1]).

و لهذا، فقد وضعت مسجدها في خدمة أبنائها يرتاده المعلمون و طلاب العلم، صغار وكبار يعلمون فيه و يتعلمون القراءة و الكتابة و علوم القرآن و الحديث و الفقه و اللّغة والأدب ، مما أسهم بنهوضهم من درك الظلمات إلى درجات النور.

لقد أدّى المسجد أيضا دورا اجتماعيا في العالم الإسلامي، إضافة ما قدمه على صعيد القضاء و التعليم، فقد غدا مرشدا للمسافرين المسلمين الذّين كان يقصدونه أثناء دخولهم إلى المدن الغريبة عن مدنهم. فكانوا يتعرفون إلى بعض أهل البلد و يعرفون بأنفسهم، مما كان يهيئ على وجه السرعة و في منتهى البساطة إلى قيام أواصر أخويّة و صلات اجتماعيّة.

و يبدوا أن بيت المال كان أيضا في مسجد الجامع كما كان الحال في المسجد الأموي وجامع عمرو بن العاص([2]).

---

[1] – حسين مؤنس، المساجد،مرجع سابق، ص180.

[2] – قصي الحسين، الحضارة العربية حتى العصر بين المملوكي و العثماني، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان، ط1، 2004، ص285. 286.

و هكذا، فلم تمض فترة زمنية على ظهور المسجد في تاريخ الحياة الإسلاميّة و تحديدا منذ مطلع العهد الأموي، حتى بات يمثل دار الحكومة في مفهومها المعاصر، و بالإضافة إلى الاحتفاظ بوظيفته الأساسيّة الدينيّة ،و بسبب الأهداف و الوظائف التّي كان يؤديها تعددت الأساليب المعماريّة في بنائه و تطورت ليكون بميسور ها مواكبة الحيّاة الإسلاميّة المتجددة و المتطورة([1]).

1. دور المسجد في تكوين المدينة الإسلامية:

لقد كانت المدن الإسلاميّة أو المدن الجديدة تتركز عموما في نقاط أوجزها القز ويني بأنّها "المساجد و الجوامع و الأسواق و الخانات و الحمامات و مراكض الخيل و معاطن الإبل و مرابض الغنم و دور السكن".

و بقراءة أوضح لقد كانت هذه الهندسة تتركز في المؤسسات العامة كالأسواق و دور السكن و الحمامات و غيرها([2]).

و قد كان المسجد الجامع أوّل ما يختط في المدينة و يشكل أهم ما يمكن أن يرى محاور الحركة المهمة في المدينة، و من أكثر المحاور البصرية ضمن النّسيج الحضري المتراص الذّي امتازت به المدينة الإسلاميّة([3]).

و عليه وفي تتبعنا لهندسة المدن العربيّة نلاحظ أنّ بناء المساجد الجامعة في هذه المدن كان أوّل عمل يقدم عليه مخططوا هذه المدن، فعتبة بن غزوان عند نزوله البصرة، كان المسجد

[1] – حسين مؤنس، لمساجد، المرجع نفسه، ص215.
[2] – يحي أحمد الكعكي، مرجع سابق، ص41.
[3] – حنان قرقوتي، تخطيط المدن، العمارة و الزخرفة، المرجع السابق، 18.

الجامع أوّل ما اختطه بها ثم تتابع البنيان في عهد مغيرة بن شعبة الذّي استخلف على البصرة. وكذلك عند انتقال سعد بن أبي وقاص بالعرب من مدائن كسرى إلى الكوفة سنة 17 هـ، كان المسجد الجامع أوّل بناء خطّ فيها حينما عزم على إنشائها، ثم اختط النّاس حوله فبنت دار الإمارة بجانبه، و كان فيها بيت المال.

و لعلّ السّؤال الذّي يطرح الآن هو: لماذّا كان المسجد الجامع أوّل بناء يقوم العرب المسلمون باختطاطه في مدنهم الجديدة؟([1])

إذا كان الفن الإسلامي بمفهومه الدينيّ هو فن مقدس، فهو كان فنّا معماريّا بالضرورة، وبذلك تكون عمارة المساجد و زخرفتها النموذج الأوّل لفنون الإسلام.

و إنّ تطوّر عمارته مثلث تطورا للحضارة العربيّة، في شكلها المادي الملموس. و بذلك أصبح المسجد الجامع بهذه الصفة مؤسسة حضرية رمزا الإسلامي، لأنّه كان تعبيرا عن فكرة الجماعة و تجسيدا حيّا للدعوة الإسلاميّة، و لكل ما حملته من أشكال تغييريّة في حياة الفرد العربي([2]).

و عليه يمكن التأكيد على أنّ المساجد الجامعة كانت أساسا للتنظيم العمراني للمدينة العربيّة الإسلاميّة، و المركز الدينّي الذّي تلتف حوله بقيّة مراكزها العمرانيّة، و القلب الذّي

[1] - - يحي أحمد الكعكي، المرجع السابق، ص42.

[2] - يحي أحمد الكعكي، رسالة الوسطية و الاعتدال و الحضارة، المرجع نفسه، ص46.

ينبض بالحياة و يضخ فيها النشاط و الحركة، و هو الّذي طبع المدينة العربيّة الممصرة و المفتوحة بالطابع العربي باعتباره المركز الدينيّ و الثقافّي و الاجتماعي و الاقتصادي للمدينة.

و هكذا قد اتخذ العرب من المسجد الرّسول (صلّى الله عليه و سلّم) في المدينة، نموذجا في بنائهم لمساجدهم الأخرى. فقد كان هذا المسجد ببساطته التّي بنيّ بها يعبر عما وضعه الإسلام من تعاليم دينيّة، فنظام النسب فيه يقوم على أساس إنشائي هو الوضع الأفقي ترجمة لما هو ثابت في الطبيعة كالسهل و البحر و الكتلة البشرية المتماسكة في نظام يتساوى و نظرية المساواة في المجتمع العربي([1]).

المبحث الثاني: الجامع الأموي.

لما انتهى عهد الخلفاء الرّاشدين و انتقلت الخلافة إلى بني أميّة، جعلوا الشام مقرا لها في 41هـ/661م، و لقد كانت ذروة مجد هذا العصر خلال حكم الوليد بن عبد الملك بن مروان الذّي أمر بتشييد مساجد ضخمة لا تقل فخامة عن معابد أصحاب الديانات الأخرى(2).

[1]- المرجع نفسه، ص47. 48.

[2]- إياد صقر، الفنون الإسلامية، مرجع سابق، ص190.

و كان ابتداء عمارة جامع دمشق، في أواخر سنة ست و ثمانين في ذي القعدة منها، وتكامل بناؤه في عشر سنين، فكان الفراغ منه في هذه السّنة. أعني: سنة ست و تسعين ، وفيها توفى بانيه الوليد بن عبد الملك،و قد بقيت فيه بقايا فكملها أخوه سليمان(1).

1-موضع المسجد:

يشغل المسجد الأموي الكبير بدمشق، موقعا في وسط المدينة التّاريخي في ذات البقعة التّي كانت في السابق مكانا لأبنية ذات طابع عبادي و دينّي منذ قرون. فقبل تشييده كان قد أقيم في الموقع نفسه ما يلي:

-العهد القديم:

كان في أصل هذا الجامع قديما معبدا بنته اليونان الكلدانيون الذين كان يعمرون دمشق، و هم الذّين وضعوها و عمروها أولا، فهم أوّل من بناها، و قد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المميزة و هي: القمر، عطارد، الزهرة، الشّمس، المريخ، المشتري، زحل(2).

-العهد الآرامي:

في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد، أقيم في الموقع نفسه معبد "حَدَدْ" إله العاصفة و المطر و الخصب في سورية.

-العهد الروماني:

---

[1]- محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، المصدر السابق، ص304.
3_المصدر نفسه،ص 305.

ثمّ أنشأ على أنقاض المعبد "حَدَدْ" القديم معبد آخر و هو جوبيتير" و هذا الأخير هو إله روماني، و قد كان يحتوي هذا المعبد على المنشآت الكثيرة.

و تحول المعبد في وقت لاحق إلى كنيسة، عندما استعمل " تيودوس"المنشآت المتبقية في المعبد الروماني ليحولها إلى كنيسة مسيحية في عام 379م تحت اسم كنيسة " القديس يوحنا المعمدان"(1).

2-كيفية الحصول على مكان المسجد:

فُتحت دمشق في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) صلحا ،حيث دخلها خالد بن الوليد من الجهة الشرقية عنوة، و انتهى إلى النّصف الشرقي من الكنيسة فاتّخذه المسلمون مسجدا، بينما دخل أبو عبيدة بن الجراح المدينة من الجهة المقابلة صلحا، فترك النّصف الثاني من الكنيسة للنصارى، و بذلك شارك المسلمون نصارى دمشق في كنيستهم الكبرى، و كانت هذه قوانين الحرب المتعارفة، و كان للظافر أن يمتلك المرافق العامة، فيما فتح بالسّيف، و بقي النّصف الآخر كنيسة تقام فيها شعائر أهلها، وكان هذّا آية من آيات السماحة حيث لم يجد المسلمون غضاضة أن يتحاور المسجد و الكنيسة، فضلا عن كونها في بناء واحد(2).

من سنة أربع عشرة إلى سنة ست و ثمانيين في ذي القعدة، قد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك في شوال منها، فعزم الوليد على أخذ بقية هذه الكنيسة و إضافتها إلى ما بأيدي

[1] - خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل،المرجع نفسه، ص131.

[2] - محمد قباني، الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط، مرجع سابق، ص165.

المسلمين منها و جعل الجميع مسجد واحد، و ذلك لأنّ بعضا من المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النّصارى للإنجيل، و رفع أصواتهم في صلواتهم فأحب أن يبعدهم عن المسلمين فطلب النّصارى، و سأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان، و يعوّضهم إقطاعات كثيرة، فأبو ذلك أشّد الإباء. دخل عليه بعض النّاس فأرشدوه إلى أن يقيس من الباب الشرقي و من باب الجابيّة، فوجدوا أنّ الكنيسة قد دخلت في العنوة، و ذلك أنّهم قاسوا من باب شرقي و من باب الجابيّة، فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الريحان تقريبا فإذا الكنيسة قد دخلت في العنوة فأخذها([1]).

قبل الشروع في تشيّيد المسجد الأموي بدمشق الذّي عرف أحيانا بمسجد الوليد، قام الوليد بن عبد الملك بإزالة أغلبة المنشات السابقة الموجودة في الموقع([2]). فأمر بإحضار آلات الهدم و اجتمع إليه الأمراء وجاء إليه أساقفة النّصارى و قساوستهم و قالوا: إنّا نجد في كتابنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن. فقال الوليد أنا أحب أن أجن في الله، ووا الله لا يهدم فيها أحد شيئا قبلي([3]). فأنا أوّل من يهدمها، فقام عليها و عليه قباء أصفر فهدمها بيده، و هدم النّاس معه، ثمّ زاد في المسجد.

[1] - محمد بن احمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير،المصدر السابق، ص308

[2] -- خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل، المرجع السابق، ص133

[3] - محمد بن احمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، المصدر السابق، ص309

و إثر ذلك بدأ العمل في تشيّيد المسجد في ذي الحجة من عام ستة و ثمانين 86هـ-705م و انتهى منه بعد عشرة سنوات من العمل الإنشائي الواسع و المتواصل في96هـ-815م أي في السّنة التّي مات بها الوليد([1]).

-ذكر بعض الأئمة بالمسجد الأموي:

يقول الرّحالة ابن بطوطة أن أئمة هذا المسجد هي ثلاثة عشر إماما أوّلهم إمام الشافعيّة، وكان في عهد دخولي إليها إمامهم قاضي القضاة جلال الدّين محمد بن عبد الرحمان القزويني، من كبار الفقهاء، و هو خطيب بالمسجد و سكناه بدار الخطابة، و يخرج من باب الخدم إزاء المقصورة و هو الباب الذّي كان يخرج منه معاوية (رضي الله عنه)، و قد تولّى جلال الدّين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصريّة.

و إذا سلّم إمام الشافعيّة من صلاته قام للصلاة أمام مشهد علي ثمّ أمام مشهد حسين ثمّ أمام مشهد الكلاسة ثمّ أمام مشهد أبي بكر ثمّ أمام مشهد عمر ثمّ أمام مشهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

ثمّ إمام المالكيّة و كان إمامهم في عهد دخولي إليها الفقيه أبو عمر بن الوليد ابن الحاج التجيبي القرطبي الأصل الغرناطي المولد نزيل دمشق و هو يتناوب الإمامة مع أخيه.

ثمّإمام الحنفيّة، وكان إمامهم في عهد دخولي إليها الفقيه عماد الدّين الحنفي المعروف بابن الرّمي، وهو من كبار الصوفيّة، وله شياخة الخانقاه الخاتونيّة وله أيضا خانقاه بالشرق الأعلى.

[1] - خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل، المرجع السابق، ص133

ثمّ إمام الحنابلة و كان في ذلك العهد الشيخ عبد الله الكفيف أحد شيوخ القراءة بدمشق.

ثمّ بعد هؤلاء خمسة أئمة لقضاء الفوائت ،فلا تزال الصلاة في هذا المسجد من أوّل النّهار إلى ثلث اللّيل و كذلك قراءة القرآن و هذا من مفاخر هذا الجامع المبارك([1]).

المبحث الثالث: التخطيط المعماري للمسجد الأموي.

لقد تناول المؤرخون العرب و المسلمون على مدى قرون، و صف عمارة المسجد الجامع الكبير بدمشق، بكثير من الدّقة المشوبة بالفخر الحقيقي لما تمثله عمارة المسجد من مستوى مهني و ثقافي رفيعين، و لعلّ كلام ابن جبير الرّحالة المعروف الذّي سجله أواخر القرن الثاني عشرة 1184م عن المسجد و عمارته من أ نّه".. أشهر الجوامع الإسلام حسنا، وإتقان بناء و غرابة صنعه و احتفال تنميق و تزيين، و شهرته المتعارف في ذلك تعني عن استغراق الوصف فيه..."([2]).

كما يصف لنا الرّحالة ابن بطوطة الذّي زار هذا المنشأ العظيم فيقول: " هو أعظم مساجد الدنيا احتفالا، و أتقنها صناعة، و أبدعها حسنا و بهجة و كمالا، و لا يعلم له نظير ولا يوجد له شبيه"([3]).

وقال أحمد بن أبي الحواري عن الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان:ماينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشدّ شوقا إلى الجنّة من أهل دمشق، لما يرون من حسن مسجدها([1]).

---

[1] -ابن بطوطة، المصدر السابق، ص93.

[2] - خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل، المرجع السابق ، ص134.

[3] - ابن بطوطة، الرحلة تحفة الأنظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، ج1، دار صادر بيروت، ط، 1975، ص88.

إنّ هذا الجامع ذرة في تاج العمارة الإسلاميّة، و يعتبر سوفاجيه أنّ هذا المسجد كان أوّل نجاح معماري في الإسلام ، و يؤكد مارسيه أنّ البناء المسيحي هدم قبل إنشاء المسجد إذ إن الصفة العامة للبناء كما يقول مارسيه" بأقواسه و سقوفه و سطوحه ذات المنحدرين" جالونين'لا يسمح باعتباره كنيسة محولة إلى مسجد([2]).

1. **الوصف المعماري:**

أ- المساحة: يذكر لنا الرّحالة ابن بطوطة أبعاد هذا الجامع فيقول أنّه جاء مستطيل الشكل و ذرع في الطول من الشرقإلى الغرب مائتا خطوة، و هي ثلاثمائة ذرع و عرضه من القبلة إلى الجوف مائة و خمس و ثلاثون خطوة و هي مائتا ذراع.([3]).

أي تبلغ أبعاد المسجد الجامع الكليّة 156م طولا و 97م عرضا([4]).

2. الحرم:

يقع الحرم أو بيت الصلاة في الجانب القبلي الجنوبي من مبنى المسجد، و تقدر أبعاده ب136م طولا و 37م عمقا، و يتشكل فضاء الحرم من ثلاث أساكيب عريضة نسبيّا يبلغ عرض كل منها 12م([5]).

---

[1] – محمد بن احمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، مصدر سابق، ص315.

[2] – محمد الخطيب، تاريخ الحضارة العربية، دار علاء للنشر و التوزيع، ط1، 2007،ص 288.

[3] – ابن بطوطة، الرحلة تحفة الأنظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، مصدر سابق، ص88.

[4] – خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل، المرجع نفسه، ص135.

[5] – خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل، المرجع نفسه، ص135.

و فيه أربعة محاريب، ويقوم سقفه على قناطر و أقواس تحملها أعمدة ملساء ذات تيجان مزخرفة([1]).

و قد أقام المهندسون لبيت الصلاة بابا فاخرا جدّا يؤدي إلى الصحن المكشوف المستطيل الشكل كما أنّه يتكون من ثلاث بائكات* يقطعها مجاز قاطع الذّي يبنى بدوره لتحديد جهة القبلة و موضع المحراب في الجامع.

و المجاز القاطع الذّي يوجد أمام المحراب تعلوه قبة القصد منها أبرازه و الاهتمام بشأنه وإعطائه الضوء الكافي و هذه القبة تدعى النّسر أو قبة الرّصاص([2]).

3. الصحن:

يلي الحرم مباشرة من الجهة الشّمالية صحن مكشوف على شكل مستطيل يبلغ طوله 132.م شرقا و عرضه50م من الشرق يتناقص إلى 87 و 47 مترا من الجهة الغربيّة، و يحيط بالصحن من جهاته الثلاث الشرقيّة و الغربيّة و الشماليّة رواق عرضه عشرة أمتار تقريبا ويتألف هذا الرّواق من صف من القناطر المفتوحة على الصحن.

و المحمولة على العمد و العضادات بحيث يتناوب عمودان مع عضادة و الأعمدة قطعة واحدة من الحجر الكلسي الصلب أو الغرانيت القديم تتوّجها تيجان من طراز كورانثي. أمّا

---

[1] – عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر،ط1، 1987،ص176.

* – بائكة: مجموعة العقود تبنى على استقامة واحدة موازية لحائط القبلة.

[2] – عفيف البهنسي، الفن العربي في بداية تكوينه، دار الفكر دمشق،ط1،1985،ص41.

العضادات فمبنية من الحجر و يعلو القناطر طابق آخر من القناطر الصغيرة اثنتان فوق كل قنطرة كبيرة.

و كانت أرض الصحن و أروقته مبلطة بفصوص الفسيفساء الحجرية([1]). و تستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقيّة والغربيّة و الجوفيّة وسعة كل بلاط منها عشر خطا، و بها من السواري ثلاث و ثلاثون و من الأرجل أربع عشر و سعة الصحن مائة ذراع و هو من أجمل المناظر و أتمها حسنا و به يجتمع أهل المدينة بالعشايا([2]).

و العمودان الموضوعان فيه فجعلا لتنوير ليالي الجمع و صنعا في رمضان سنة إحدى وأربعين و أربعمائة([3]).

4. القباب:

أ- **القبة الأولى**: و هي القبة الغربيّة العاليّة التّي في صحن الجامع التّي يقال لها قبة عائشة أم المؤمنين، فسمعت شيخنا الذهبي يقول: إنّها إنّما بنيت في حدود السّنة ستين و مائة في أيام المهدي بن منصور العباسي و جعلوها لحواصل الجامع و كتب أوقافه([4]).

---

[1] - خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل، المرجع نفسه، ص136.

[2] - ابن بطوطة، الرحلة تحفة الأنظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، المصدر السابق، ص89.

[3] - محمد بن احمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، المصدر السابق، ص305

[4] - محمد بن احمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، المصدر السابق، ص318

و هي قائمة على ثماني سواري من الرّخام مزخرفة بالفصوص و الصبغة الملونة، مسقفة بالرصاص، يقال إنّ مال الجامع كان يخزّن بها([1]).

ب- **القبة الثانيّة:** و هي القبة الشرقيّة على باب المسجد و هي على شرق الصحن على هيئة أخرى إلاّ أنّها أصغر من القبة الأولى قائمة على ثمان سواري من الرّخام و تسمى قبة زين العابدين([2])

و قيل أنّها عمرت في أيام المستنصر العبيدي في سنة خمسين و أربع مئة، و كتب عليها اسمه و اسم الاثنين عشرة الذّين تزعموا الرافضة أنّهم أئمتهم([3]).

ج- **القبة الثالثة:** و يقول لها العامة قبة أبي نواس، فكان بناؤها في سنة تسع و ستين وثلاثمائة، أرّخ ذلك ابن عساكر على خطى بعض الدماشقة([4]).

و هي في وسط الصحن و هي صغيرة مثمنة من رخام عجيب محكم بإلصاق، و هي قائمة على أربع سواري من الرّخام النّاصع، و تحتها شباك حديد في وسطه أنبوب نحاس يمج الماء إلى علو فيرتفع ثمّ ينثني كأنّه قضيب لجين، و هم يسمونه قفص الماء و يستحسن النّاس وضع أفواههم فيه للشرب([5]).

---

1 - ابن بطوطة، الرحلة تحفة الأنظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، المصدر نفسه، ص89.

2 -- المصدر نفسه، ص89.

3 - محمد بن احمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، المصدر السابق، ص305

4 - المصدر نفسه، ص318

5 - ابن بطوطة، الرحلة، المصدر السابق،ص89..

قبة النسر:

و هي اسم حادث لها شبهوها بالنسر في شكله لأنّ الرواقات عن يمينها و شمالها كالأجنحة لها([1]).

و تسمّى أيضا قبة الرّصاص فحسب الرّحالة ابن بطوطة أنّها سميت بقبة النّسر كأنّهم شبهوا المسجد نسرا طائرا و القبة رأسه، و هي من أعجب مباني الدنيا و من أي جهته استقبلت المدينة بدت لك قبة النّسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد([2]).

و هي قبة من الخشب المصفح ببلاطات من الرّصاص ،كما هو الحال بقبة الصخرة بالقدس الشريف، و القبة الموجودة ليست هي القبة الأصليّة و إنّما هي من تجديد السلطان ملكلشاه في القرن الخامس الهجري(91م) على حد تعبير الرّحالة ابن جبير الذّي زار الجامع وكتب عنه([3]).

4. **المآذن:** تشتمل عمارة المسجد الأموي على ثلاث مآذن و هي:

✓ **المئذنة الشرقيّة:** و التّي تعرف بمئذنة عيسى أو المئذنة البيضاء، و هي من بناء الروم وبابها داخل المسجد ،و بأسفلها مطهرة و بيوت للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد([4]).و قد جددت مئذنة عيسى عام 1247م و رممت في القرن الخامس

[1] – محمد بن احمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، المصدر السابق، ص305

[2] – ابن بطوطة، الرحلة، المصدر السابق،ص89.

[3] – حسين محمد نويصر، الآثار الإسلامية، مرجع سابق، ص124

[4] – ابن بطوطة، الرحلة، المصدر السابق،ص90.

عشر الميلادي، أمّا بدنها فكسيّ بكسوة مضلعة، و انتهت بقمة مخروطة مدينة بأسلوب عثماني، و يقول أنّها سميت بمئذنة عيسى لاعتقاد بعودة ظهور المسيح عليها، و على الرّغم من أنّها تعرضت لكثير من التهديم([1]).

✓ **المئذنة الغربيّة:** و هي أيضا من بناء الرّوم([2]) أنشئت على قاعدة البرج أو الصومعة القديمة ([3]).

و يستوقفنا أيضا الحريق الذّي تأذّت به المئذنة الغربيّة عام 1479م فكان أن أعيد بناؤها عام 1488م على يد السلطان المملوكي "قيتباي" و ذلك بأسلوب المصري المربع ثمّ المثمن ثمّ الأسطواني([4]).

✓ مئذنة العروس: هي من بناء المسلمين وهي من إنشاء الوليد بن عبد الملك و قد أمر بإقامتها في الجدار الشمالي، و هذه المئذنة من أقدم و أجمل المآذن الإسلاميّة، و قد أشار إليها الخياري في رحلته إذ قال: "و تسبب تسميتها بذلك كما أخبرني بعضهم، أنّه لما تمت عمارتها طلبوا رصاصا لتغطية سقفها، فلم يجدوه إلاّ عند امرأة من بنات التّجار فطلب منها ذلك، فامتنعت من بيعه بعد المبالغة في الثمن، إلاّ أن تعطي زنته فضة فوافقها الملك على ذلك وفوزن لها ماطلبت.

---

[1] – قصي الحسين، الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي و العثماني، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان،ط1، 2004، ص304. 305.

[2] – ابن بطوطة، الرحلة، المصدر السابق،ص90.

[3] – خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل، المرجع السابق، ص137.

[4] – قصي الحسين، الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي و العثماني، المرجع السابق، ص305.

و أعطته، فلّما رأت ذلك قالت هذّا ملك عادل فخطبته إلى نفسها فتزوجها، ثمّ أعطت ذلك المال لبناء هذه المنارة فعمرت به، فلذلك لقبت بمنارة العروس. هكذا أخبرني أحد الثقات([1]).

-و يذكر أيضا أنّ هذه المئذنة كانت نستخدم في العصر المملوكي لإرسال الإشارات الضوئيّة باتجاه القاهرة و ذلك إشعار بظهور المغول في الشمال. و إثر حريق مدرسة الكلاسة عام 570هـ/1168م، احترقت هذه المئذنة فجددها صلاح الدّين الأيوبي ثمّ كان تجديد النّصف الأعلى فيها عام 1915م ([2]).

و يقول ابن بطوطة أنّ عدد المؤذنين بها سبعون مؤذنا([3]).

5. الأبواب: يوجد بهذا المسجد أربعة أبواب هي:

✓ الباب القبلي: و المعروف بباب الزيادة و ينفتح على فضاء الحرم مباشرة([4]). بأعلاه قطعة من الرمح الذّي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه- و لهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين و غيرهم([5]).

✓ الباب الجوفي: و يعرف بباب النطفانيين و يعرف أيضا بباب الفراديس أو باب الكلاسة و له دهليز عظيم و عن يمين الخارج منه خانقاه تعرف بالشميعانيّة، في وسطها

---

[1] - - قصي الحسين، المرجع نفسه، ص305.

[2] -- قصي الحسين، المرجع نفسه، ص306.

[3] - ابن بطوطة، الرحلة، المصدر السابق،ص90.

[4] - خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز و التأويل، المرجع السابق، ص135.

[5] - ابن بطوطة، الرحلة، المصدر السابق،ص90.

صهريج ماء و لها مطاهر يجري فيها الماء و يقال أنّها كانت دار عمر عبد العزيز (رضي الله عنه) و عن يمين الخارج من باب جيرون([1]).

✓ الباب الشرقي: و هو أعظم أبواب المسجد و يسمّى باب جيرون، و له دهليز عظيم يخرج منه إلى بلاط عظيم طويل، أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة و في جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين (رضي الله عنه). و بإزائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) و به ماء جار.

و انتظمت أمام البلاط درج ينحدر فيها الدهليز و هو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجذوع طوال و بجانبي هذّا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البزارين و غيرهم([2]).

✓ الباب الغربي: و يعرف بباب البريد، و عن يمين الخارج منه مدرسة الشافعيّة وله دهليز فيه حوانيت للشماعين و سماط لبيع الفواكه ،و بأعلاه باب يصعد إليه في درج له أعمدة ساميّة في الهواء و تحت الدرج سقايتان عن يمين و شمال مستديرتان([3]).

- و على كل باب من أبواب المسجد الأربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة([4]).

---

[1] - - ابن بطوطة،المصدر نفسه ،ص92.

[2] - المصدر السابق، ص92.

[3] - المصدر السابق، ص92.

[4] - المصدر السابق، ص92.

✓ باب الساعات: غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقات صغار، مفتحة لها أبواب على عدد ساعات النّهار، و الأبواب مصبوغ باطنها بالخضرة، و ظاهرها بالصفرة فإذا ذهبت ساعة من النّهار انقلب الباطن الأخضر ظاهار و الظاهر الأصفر باطنا يقال: إنّ بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عن مضي الساعات([1]).

- يقول القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر سميّ هكذا لأنّه عمل هناك بلكار الساعات، كان يعمل بها كل ساعة تمضي من النّهار، و عليها عصافير من نحاس و حيّة من نحاس و غراب فإذا تلت السّاعة خرجت الحيّة فصفرت العصافير و صاح الغراب و سقطت حصاة في الطست فيعلم النّاس أنّه قد ذهب من النّهار ساعة([2])

المبحث الرابع: العناصر الزخرفيّة للمسجد الأموي:

✓ **الزخرفة:**

جاءت كلمة الزخرفة من الكلمة اللاتينية Décoration و تعني فن التزيين، قال ابن حجر: الزخرفة الزينة و أصل الزخرفة الذهب ثمّ استعمل في كل ما يتزين به ([3]).

و قال تعالى: " **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ**"([4]).

---

[1] - المصدر السابق، ص92.

[2] - محمد بن احمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، المصدر السابق، ص317.

[3] - محمد عبد الله الدرايسة، الزخرفة الإسلامية، عمان مكتبة المجتمع العربي، ط1، 2009، ص13.

[4] - سورة الصافات، الآيتين6. 7.

و قال تعالى:" حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ " ([1]).

شهد العصر الأموي نهضة عمرانية كبرى استفاد فيها المسلمون من التراث، من الطرز المعمارية التّي وجدوها في البلاد المفتوحة سواء أكانت فارسيّة أم بيزنطيّة أم مصريّة و طبعوها بطابع عربي إسلامي، وضعوا بذور فن معماري متميز عن غيره من الفنون المعمارية الأخرى وساعدهم على ذلك التراث الواسع الذّي كانت تتمتع به الدولة([2]).

يعدّ المسجد الأموي من أشهر مساجد الشّام التّي أنشئت في العصر الأموي، حيث جاء هذا المسجد معمورة ناطقة كما كان يعيشه النّاس في ذلك العصر من ترف و رفاهية حيث قال الوليد: ياأهل دمشق إنّكم تفخرون على النّاس بأربع: بهوائكم و مائكم و فاكهتكم وحماماتكم فأحببت أن أزيدكم خامسة و هي هذا الجامع([3]).

و قد برزت مهارة و عبقرية الفنان الأموي في فن الصور و الزخارف الفسيفسائية ،وكان غرض الأمويين الأساس في استخدامها إظهار الأمكنة المقدسة للمسلمين بمظهر يفوق مظهر الكنائس المسيحية و المعابد اليهودية و هذا ما نلاحظه في المسجد الأموي بدمشق([4])

[1] -سورة يونس، الآية 24.

[2] - محمد القباني، الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط، مرجع سابق، ص156.

[3] - محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية، المصدر السابق، ص312.

[4] - محمد حسين جودي، الفن العربي الإسلامي، دار المسيرة، ط1، 2007، ص57.

و قال بعضهم كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح مذهبة في كل منها " بسم الله الرّحمان الرّحيم، الله لا إله إلّا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة و لا نوم"، "لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له"، "و لا نعبد إلاّ إياه، ربنا الله وحده، و ديننا الإسلام، و نبينا محمد (صلّى الله عليه و سلّم) أمر ببنيان هذا المسجد و هدم الكنيسة التيّ كانت فيه ، عبد الله أمير المؤمنين الوليد في ذي القعدة سنة ست و ثمانين"

و في صحيفة أخرى رابعة من تلك الصفائح: "الحمد لله رب العالمين، الرّحمن الرّحيم.... إلى آخر الفاتحة " ثمّ سورة النازعات ثمّ عبس ثمّ إذا الشمس كورت، قالوا: ثمّ محيت بعد مجيء المأمون إلى دمشق([1]).

كما وجد على جدران المسجد الأموي مناظر طبيعيّة و زخارف نباتيّة، و من أشهر هذه المناظر مصورة بردى، و قد انتهج الفنان الأموي فيها أسلوب زخرفيّا واقعيّا بعيدا عن رسم الإنسان و الحيوان و تبدو فيها التماثلية و خاصة أشكال الأشجار، واستطاع الفنان أن يحافظ على التوازن بين وحداته المؤلفة من الأشجار و النباتات و العمائر، و اهتم بإظهار التكتل في أشكاله و وحداته، و يبدوا في بعض صور التصرف و التصوير و التنوع أيضا ،و وجدت أجزاء صغيرة مصورة على جدران الجامع تمثل مناظر طبيعية مؤلفة من أشجار و أنهر و عمائر واستخدم الفنان الأموي في بعض المناطق في هذه المناظر، و هناك أجزاء كثيرة مصورة كشفها دي لوري على جدران الجامع صورت عليها مناظر طبيعية و زّعت عناصرها و وحداتها من

[1] – – محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية، المصدر السابق، ص312..313.

نباتات و مباني و مياه على مساحة الجدران بشكل فيه وحدة و إرتباط ، فظهرت الأشجار وهي تحف بالعناصر التّي تبدومطلة على نهر ، و زعت فيها الألوان الزاهية بشكل جميل و مثير عما وجدت في بعض المناظر عمائر صغيرة تبدوا للناظر كأنها مصنوعة الواحدة فوق الأخرى ، و كما يبدو بعض المناظر قنطرة فوق نهر و أمّا مناظر صور ملعب الخيل الذّي يبدو فيها قصور ذات طابقين و أعمدة جميلة ، و بناء مربع الشكل له سقف صيني الطراز، و وجد في الجزء الكبير الذّي يقع على مقربة من المدخل الرئيسي للجامع صور لأشكال أشجار ضخمة و نهر وعمائم، و الواقع أن هذه المجموعات من الصور الزخرفيّة التّي تكشف لنا بجلاء عن مهارة كبيرة في التصميم و دقة التعبير([1]).

و قد وجد العلماء لوحا من الّرخام قالوا إنّه من الجامع الأموي و هو مزخرف بزخارف نباتيّة قوامها فروع ذات حركات حلزونيّة على هيئة دوائر، تتخللها أوراق العنب و عناقيده، وفي وسط اللوح معين هندسي و حوله مناطق مثلثة الشكل في أركان اللّوح و يفصل العناصر الزخرفيّة عن بعضها إفريز رشيق من عناصر حبات السبحة([2]).

قالوا و كانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق و إنّما كان عليها الستور مرخاة، و كذلك الستور على سائر جدرانه إلى حد الكرمة التّي فوقها الفصوص المذهبة رؤوس الأعمدة مطلية

[1] – محمد حسين جودي، الفن العربي الإسلامي،المرجع السابق، ص61. 62.

[2] – قصي الحسين، الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي و العثماني، المرجع السابق، ص383.

بالذهب الخالص الكثير، و عملوا له شرفات تحيط به([1]). لمّا سقف الوليد الجامع، جعلوا سقفه جملونات و باطنها مسطحا مقرنصا فقال له بعض أهله: أتعب النّاس بعدك في طين أسطحتهم لمّا يريه هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير. و قال بعض مشايخ الدماشقة: "ليس في الجامع من الرّخام شيء إلاّ الرخاميتان اللّتان في المقام من عرش بلقيس و الباقي كله مرمر"([2]).

قال قصي في حديثه عن النفقات الأموال التّي أنفقت في هذا المسجد و التّي أدت إلى ثوران النّاس على أمير المؤمنين الوليد.

قال أبو قصي : "و أتى الحرس إلى الوليد فقال: يا أمير المؤمنين إنّ النّاس يقولون أنفق أمير المؤمنين بيوت الأموال في غير حقها فنؤدي في النّاس الصلاة جامعة، فاجتمع النّاس فصعد الوليد المنبر و قال: إنّه بلغني عنكم أنّكم قلتم أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها، ثمّ قال: يا عمرو بن مهاجر قم فاحضر أموال بيت المال فحملت على البغال إلى الجامع ثمّ بسط لها الأنطاع تحت قبة النّسر ثمّ أفرغ عليها المال ذهبا صبيبا و فضة خالصة، حتّى صارت كوما وهذّا شيء كثير ثمّ جيء بالقبانيين فوزنت الأموال، فإذا هي تكفي النّاس ثلاث سنين مستقبليّة.

[1]- محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية، المصدر السابق، ص313

[2] - المصدر نفسه ، ص311..

وفي رواية ست عشرة سنة مستقبليّة، لو لم يدخل للناس شيء بالكليّة، و قال لهم الوليد : و الله ما أنفقت في عمارة هذا المسجد درهما من بيوت المال و إنّما هذا كله من مالي ففرح النّاس و كبروا و حمدوا الله عزّ و جلّ على ذلك و دعوا للخليفة و انصرفوا شاكرين داعين فقال لهم الوليد: يا أهل دمشق و الله ما أنفقت في بناء هذا المسجد شيء من بيوت المال و إنّما هذا كله من مالي لم أرزأكم من أموالكم شيئا([1]).

✓ **الفسيفساء:**

الفسيفساء كلمة يونانية أصلها سيفوسيس و هي من العناصر الزخرفيّة التّي عرفت في الفن البيزنطي و الهلنسي، بحيث برع في صناعته و تصفيفه البناؤون السوريون و من الراجح أنّ هؤلاء الفنانين و البنائين قد نقلوا هذه التقنية للعمائر الإسلاميّة([2]).

يذكر الباحثون أن أبدع ما وصل إلينا من الفسيفساء في العصر الإسلامي هي فسيفساء المسجد الجامع بدمشق الذّي أصاب معظمها التلف بسب الحرائق المختلفة التّي نشبت في الجامع فلم تبق منها إلاّ أجزاء صغيرة و في عام 1927م اكتشف الأستاذ" دي لوريه" أجزاء عظيمة الشأن كانت حتى ذلك الحين مغطاة بالبلاط.

و أهم هذه الأجزاء ما يقع قرب المدخل الرئيسي للجامع، و قد عرف هذا الجزء باسم مصور بردي فهناك نهر يشبه نهر بردي الذّي يخترق المدينة و هو يجري بشكل واقعي وقد لوّنت

[1] – المصدر نفسه، ص312.

[2] – عفيف البهنسي، الفن العربي في بداية تكوينه، المرجع السابق، ص192. 193.

مياهه باللّون الأزرق السّماوي اللاّزردي.([1])و تعتبر هذه اللوحة الفسيفسائيّة من أروع القطع منظر البردي التّي يبلغ طولها 34.5 مترا و ارتفاعها أكثر من 7 أمتار التي تم الكشف عليها مؤخرا([2]).

و هذا ما استطاع الفنان تحقيقه في صورة بردي عندما ظهر التموج الضوئي المتنوع في التعبير في درجات اللّون الأزرق في توضيح جريان الماء و زبده باللّون الفضي، و فضلا عن ذلك اتصفت هذه المجموعات الفسيفسائيّة بالتنوع و التصوير في استخدام الوحدات الزخرفيّة([3]).

و قال دحيم عن الوليد بن مسلم ثنا مروان بن جناح عن أبيه قال: "كان في مسجد دمشق ، اثنا عشرة ألف مرخم، و قال أبو قصي عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن مهاجر الأنصاري: أنّهم حسبوا ما أنفقه الوليد على الكرمة* التّي في قبلي المسجد فإذا هو سبعون ألف دينار([4]).

و من هنا ينبغي أن يتم تقيم مسعى معماري المسجد الأموي و تقدير جهده في عملية ترصيع تلقائية التزيين مع التركيب و فعلهما في استيلاد الحل التكويني لعمارة المبنى المنفذة .

---

[1] – قصي الحسين، الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي و العثماني، المرجع السابق، ص378.

[2] – خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي بين الإنجاز و التأويل، المرجع السابق ، ص142.

[3] –محمد حسن جودي، الفن العربي الإسلامي، المرجع السابق،ص62.

[4] – محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية، مصدر سابق، ص311.

* الكرمة: هي فسيفساء على هيئة الكرم مؤلفة من قطع صغيرة من الزجاج المربع مبطن بالذهب أو الألوان، و كان منها بقايا إلى أيام الأخيرة سنة1310هـ و يوجد قريب منها في قبة الملك الظاهر بدمشق إلى اليوم.

فالجهد الزيّني المتمثل أساسا باللوحات الفسيفسائيّة ذات المواضع المختلفة كانت تغطي مساحات واسعة جدّا من سطوح العناصر التركيبية المشكلة للمبنى، و بقيت سالمة مساحات كبيرة منها غضت الوجه الخارجي الشمالي للرواق الأوسط و تحت القومرة"pediment" تماما حيث تظهرالأشجار و المقصورات الحدائقيّة فوق خلفيّة من الذهب، كما يوجد بعضها في أروقة المدخل الغربي المعمد و على أقواس المدخل.

وقد أزيلت الكسوة من بعض الجدران فظهرت ألوان الفسيفساء التّي تزين أروقة الصحن و تمثل مجموعة من الأشجار العالية ،حيث خلفها قصور وبيوت يعتقد أنّها تمثل غوطة دمشق وبردي الذّي يرويها([1]).

و يدل وصف الرّحالة المؤرخين القدامى فسيفساء المسجد الأموي على روعة اللّوحات ودقتها و أماكن مواقعها، فيذكر المهلبي بأنّ حنايا المسجد و حيطانه كلها إلى حد سقفه كانت منقوشة بأبدع نقش بالفسيفساء الملون المدهون أو المذهب يخطف الطرف، و كذلك حيطانه كلها في صحنه، و سائر أروقته منقوشة مذهبة بالفسيفساء، و قد كتب في حائطه القبلي سور من القرآن بالفسيفساء المذهب في تضاعف النقش، و يشير أحد الدارسين بأن اللوحات الفسيفسائيّة في المسجد الأموي الكبير قد احتوت على ثلاثة أنواع من المنظور: المنظور الخطي، و المنظور الصيني الذّي يجعل نقطة النّظر خلف النّاظر فيشعر الإنسان أنه مندمج بمشاهد محاط به، ثمّ المنظور الرّماني الإسلامي الذّي يبدوا في كثير من المواضيع التّي أخذت طابع الزخرفة

[1] - أنور الرافعي، تاريخ الفن العرب و المسلمين،دار الفكر،ط2، 1977-1997، ص67.

ويظل حدث الاستخدام المكثف للوحات الفنيّة في الصياغة المعماريّة جزءا من المفهوم التصميمي الذّي رسخته عمارة المسجد الأموي الكبير، ذلك المفهوم الذّي اعتبر فيما بعد كونه أحد الإضافات التصميمية المهمة الذّي أفرزته الممارسة المعمارية في العصر الأموي، و بعبارة أخرى فإن ثراء المعالجات التصميمية للمسجد الأموي بدمشق يعود في الكثير منه إلى فعالية وحدة الجانب الفني مع الجانب التركيبي ليشكلا في النتيجة تكوينا معماريا غاية في الأناقة وغاية في الإبداع الأمر الذي حدا "بابن جبير" أن يقر بأنّ شهرة المسجد المتعارفة في ذلك تعني عن استطراد الوصف فيه([1]).

و قد لا حظت الباحثة "فان برشم" أن الألوان المستعملة في الفسيفساء في الجامع الأموي وصلت إلى تسعة و عشرين لونا مختلفا، و أنّها تشمل ثلاث عشرة من اللّون الأخضر، أربع درجات من اللّون الأزرق و الذهبي و ثلاث درجات من الفضي([2]).

لقد برزت مهارة وعبقرية الفنان الأموي في فن التصوير و الزخارف الفسيفسائيّة، و كان غرض الخلفاء الأمويين الأساسي في إستخدامها إظهار الأمكنة المقدسة للمسلمين بمظهر يفوق مظهر الكنائس المسيحية و المعابد اليهودية و هذا ما نلخصه في المسجد الأموي([3]).

---

[1] – خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي بين الإنجاز و التأويل، المرجع السابق ، ص42. 43.

[2] – قصي الحسين، الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي و العثماني، المرجع السابق، ص379.

[3] – محمد حسين جودي، الفن العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص57.

خاتمة

خـــاتمة:

وبعد هذا التطواف الصعب الشيق في مجال العمارة العربيّة الإسلاميّة نخلص إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

* إنّ العمارة الإسلاميّة من أبرز الفنون التّي اهتم بها المسلمون عبر العصور وأكثرها دلالة على شخصيتهم، هذا ما يوضح لنا السّر في تبوئها مكان الصدارة بين الفنون الأخرى، فهي العمل الخاص الذّي لا يقصد به إلاّ صنع الجمال، وفيها يلتقي شكل العمل الفنّي بمضمونه ليكونا وحدة متماسكة، الأمر الذّي لا نكاد نجده في أي نوع آخر من الفنون.

* لقد تميزت العمارة الإسلاميّة بأهم الخصائص و العناصر المعماريّة التّي جعلت لها طابعها الخاص المميز الذّي انفردت به، و الذّي ميزها عن سابقاتها من العمارات الأخرى.

* انقسمت العمارة الإسلاميّة بحسب وظائفها الأساسيّة إلى عمارة دينيّة تمثلت في المساجد و الجوامع،و عمارة مدنيّة تمثلت في القصور و مباني الرسميّة،عمارة حربيّة تمثلت في الحصون و القلاع و الأسوار و غيرها.

ولقد ترك المعماريون المسلمون في العصر الإسلامي إرثا عظيما، و خاصة ما نجده في العصر الأموي الذّي اهتم خلفاؤه بالعمارة كثيرا بسبب حبهم و ولعهم بهذا الفن و خاصة ما يخص العمارة الدينيّة، فنجد الجامع الأموي خير دليل على ذلك فإن بتشييد هذا الجامع بصيغته الفنية بين للعالم بأسره نضج اليم التكوينية و اكتمال المفاهيم التصميمية التّي أثارت دهشة

وإعجاب جميع مشاهديه،و مازالت ذات الدهشة تستولي على مستخدميه و زواره حتى الوقت الحاضر.

و ختاما لايسعنا إلّا أن نشكر الله عز و جل على انجاز هذا العمل، فان وفقنا من فضله علينا و إن أخطئنا فمن نفسنا، و لله الحمد من قبل و من بعد.

الملاحق

ملحق رقم 01.

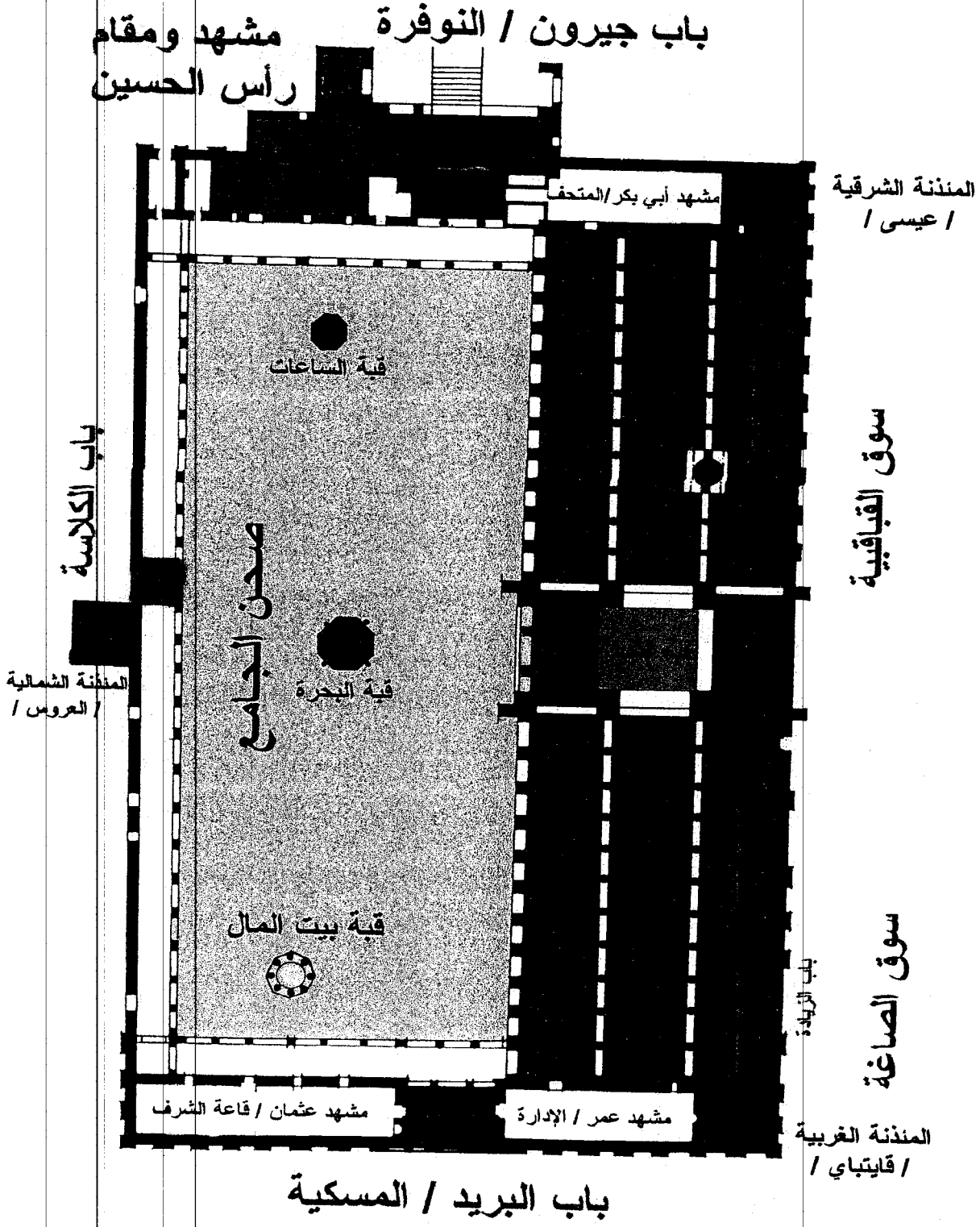

مخطط الجامع الأموي

ملحق رقم 02.

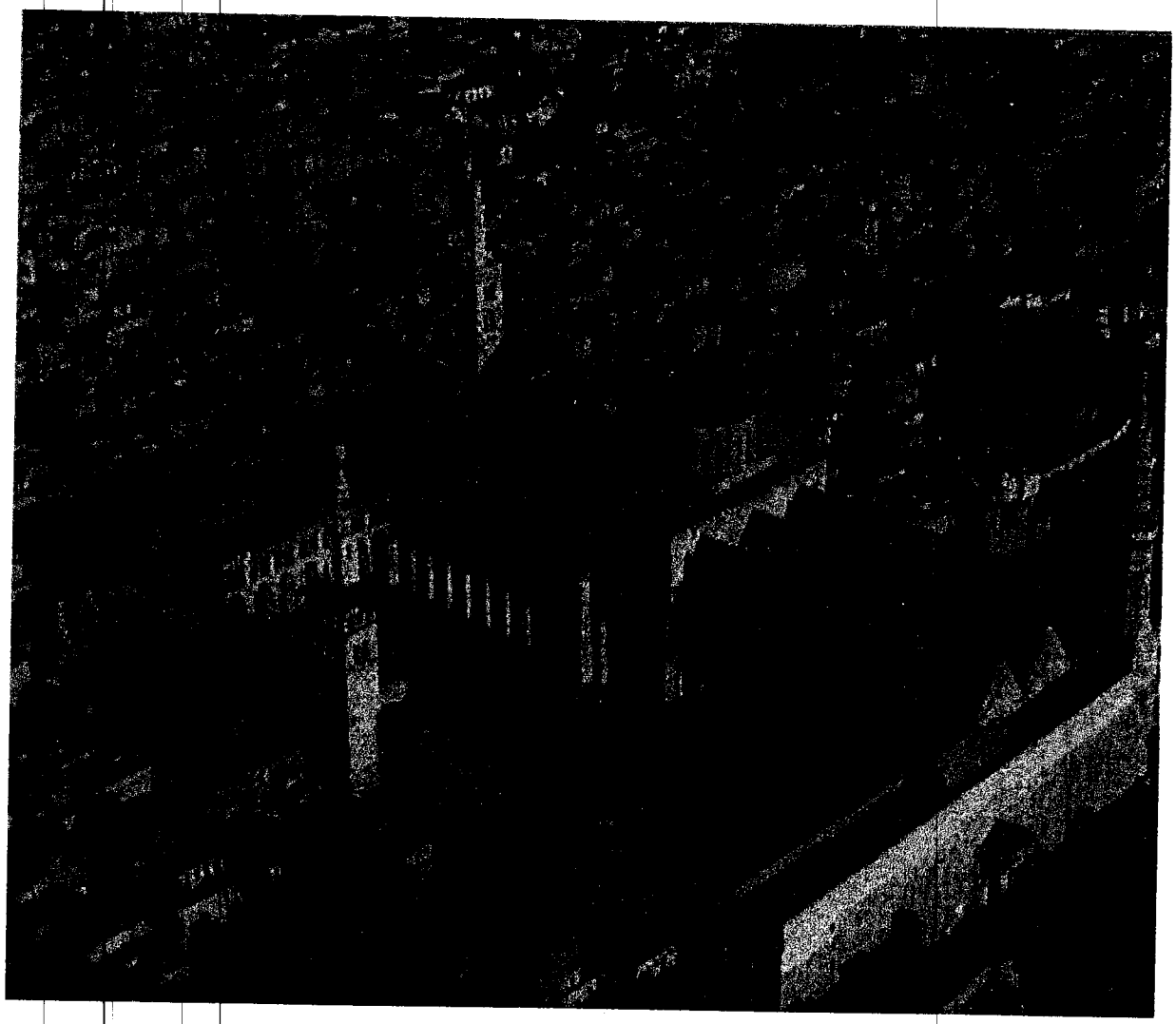

منظر خارجي للجامع الأموي.

ملحق رقم 03.

صحن الجامع

ملحق رقم 04.

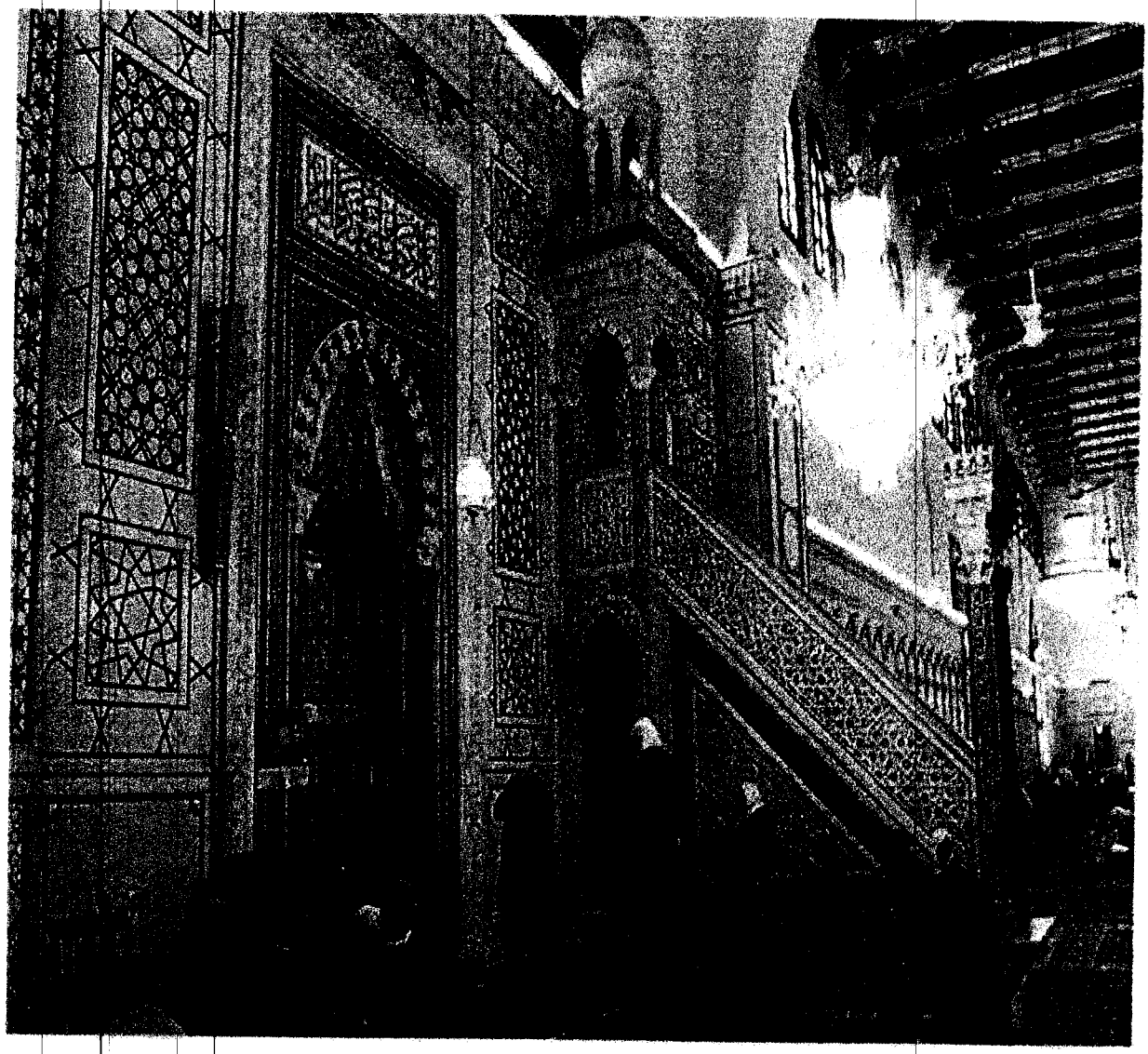

منبر الجامع.

ملحق رقم 05.

المسجد من الداخل.

ملحق رقم 06.

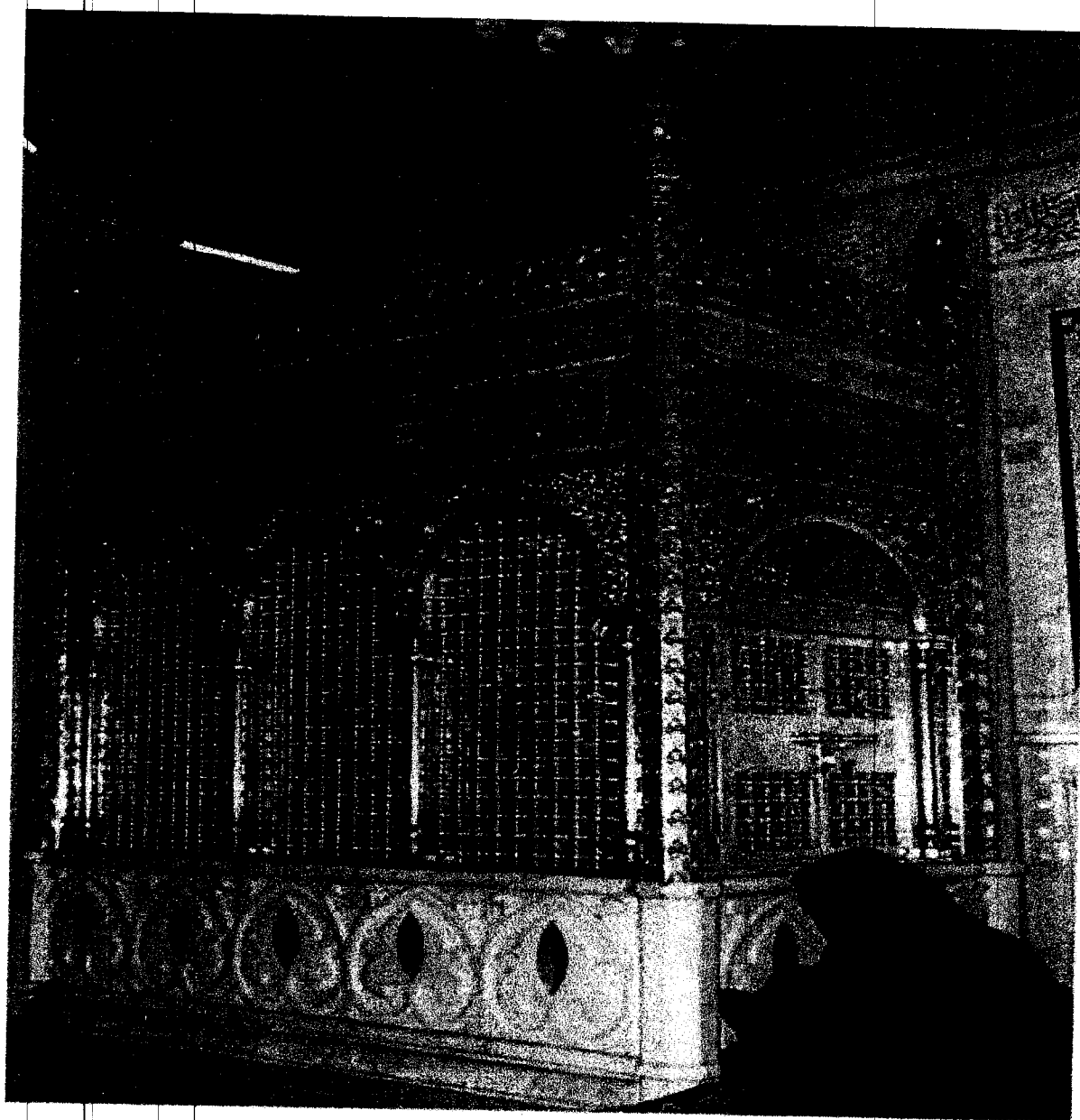

مقام رأس الإمام الحسين.

ملحق رقم 07.

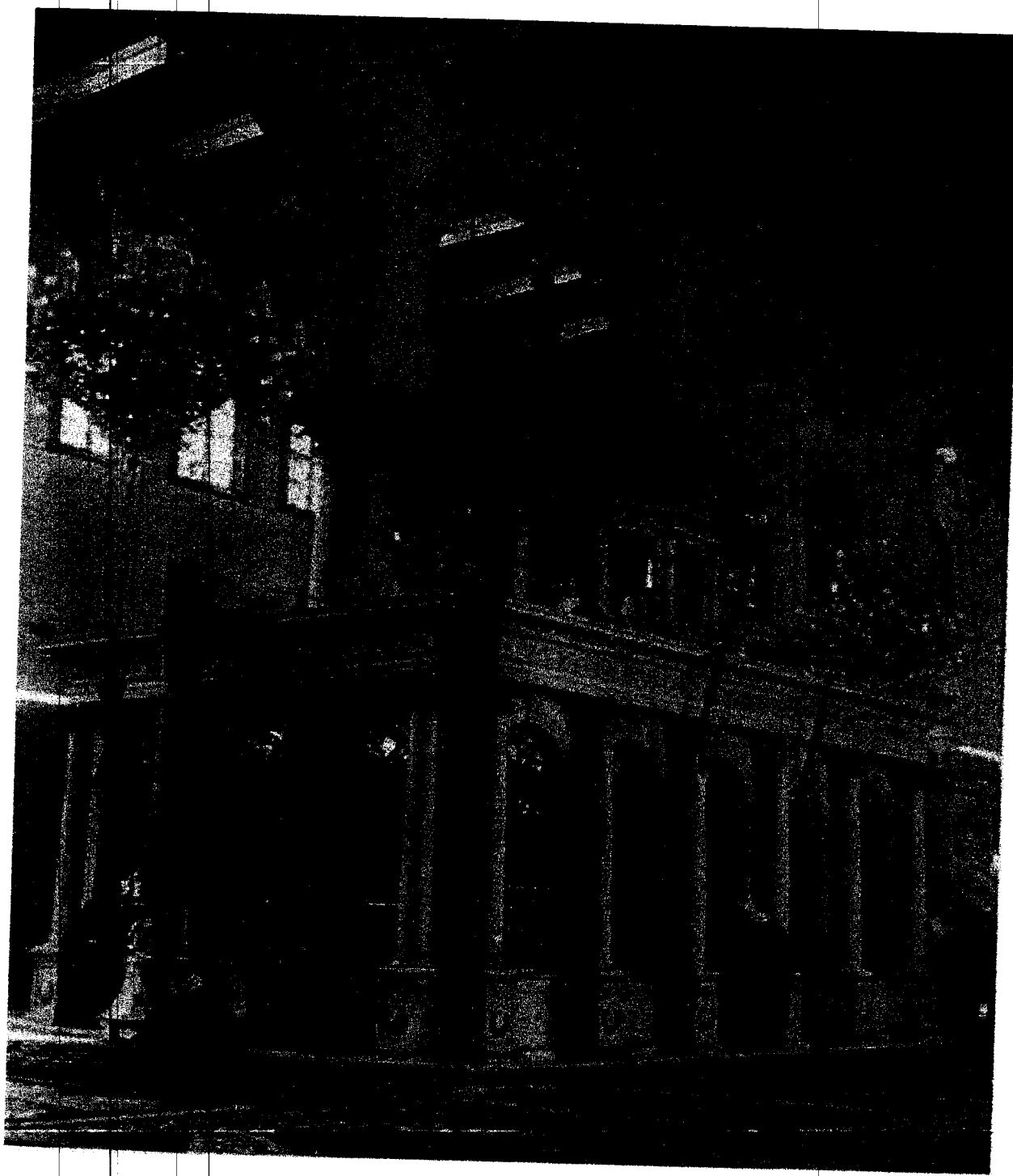

ضريح النبي يحي.

ملحق رقم 08.

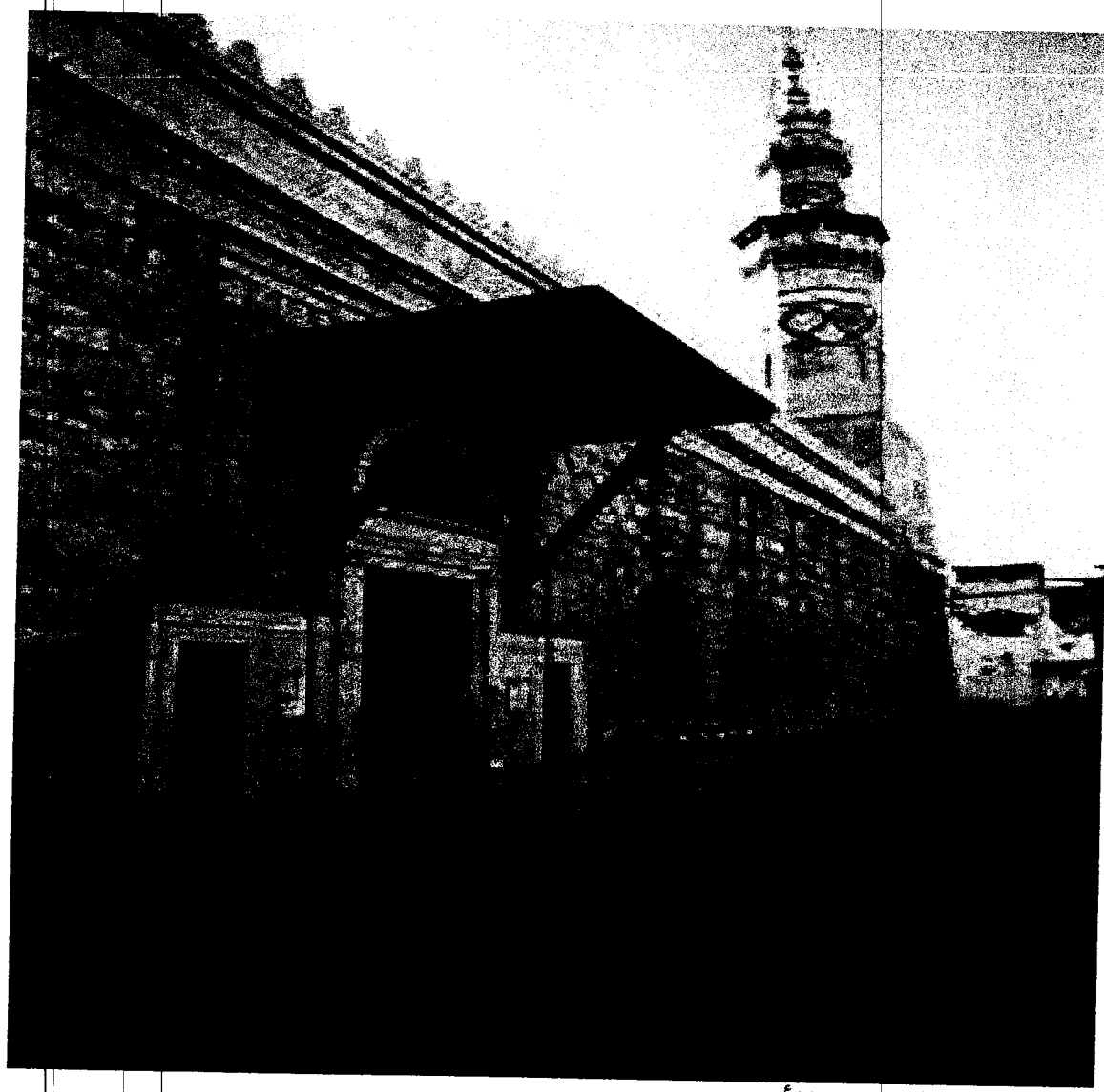

باب البريد للمسجد الأموي.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1.أحمد فكري، المسجد جامع القيروان، مطبعة التعارف، القاهرة، 1996.

2.أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي،البلدان، المطبعة الحدرية،دط،1918.

3.أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين،دار الفكر،ط2، 1997.

4.إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط،2007.

5.إياد صقر، الفنون الإسلامية،عمان مجد لاوي،ط1، 2003.

6.ابن بطوطة،تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج1، دار صادر بيروت ط1، 1975.

7.ابن منضور، لسان العرب، بيروت،ط1 ،1990.

8.توفيق حمد الجواء، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية،ج3، القاهرة،1970.

9.ثورة عكاشة ،القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار التعارف، القاهرة 1981.

10. حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية،النهضة العربية،ط2، 1999.

11. حسين مؤنس، المساجد، عالم المعارف الكويتية،ط1، 1981.

12. حنان قرقوتي، تخطيط المدن العمارة والزخرفة، لبنان، ط1، 2006.

13. خالد السلطاني، العمارة في العصر الأموي الانجاز والتأويل، سورية دمشق،جط،2006.

14. ابن خلدون، المقدمة، طبع لجنة البيان العربي، القاهرة،1957.

15. رنا إسماعيل اليسر، تاريخ العمارة بين القديم والحديث، ثراء للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2010.

16. رئيف مهنا ويسين بحر،نظريات العمارة،الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992.

17. زغلول سعد عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام ،المعارف الإسكندرية.

18. شاخت وبزوت،تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي، عالم المعرفة، ط1، 1985.

19. صالح بن قرية، المئذنة الغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الجزائر، 1986.

20. طاهر جليل، جيوش أوائل عبر العصور والحقب للدولة الأموية، دار الكتب بغداد، ج3، 1991.

21. عبد الرحمن الحجي، منارة الإسلام في الأندلس، دار النشربيروت، دط،1996.

22. عبد المعطي محمد، الإبداع الفني وتذوق الفنون الجميلة، دار المعارف الجامعية الإسكندرية.

23. عفيف البهنسي، العمارة والمعاصرة،دار الشرق للنشردمشق،ط1، 2005.

24. عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط1، 1987.

25. عفيف البهنسي، الفن العربي في بداية تكوينه، دار الفكر، دمشق، ط1، 1985.

26. علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط، 2007.

27. عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات المعمارية والفنون الإسلامية، مكتبة المدمولي، ط1، 2000.

28. الغزالي، فاتحة العلوم،مطبعة الموسوعات، القاهرة، ط1، 1901.

29. قبيلة المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، المناهج للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

30. قصي الحسن، الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي والعثماني، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، ليبيا، ط1، 2004.

31. محمد بغدادي، باب التربية والحضارة، البحث في مفهوم التربية الوطنية وعلاقتها بالحضارة في تطور مماليك بن نبي عالم الأفكار، ط2، 2007.

32. محمد السيد، تاريخ الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2002.

33. محمد بن احمد كحلان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة ابن كثير، مؤسسة المعارف، لبنان، ط1، 1997.

34. محمد الحضري، الدولة الأموية، مكتبة الإيمان، 2006.

35. محمد القباني، الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط، دار وجي القلم، ط1، 2006

36. محمد حسن جودي، الفن العربي الإسلامي، دار الميسر، ط1، 2007

37. محمد عبد الله،الدراسة الزخرفية الإسلامية،عمان، مكتبة المجتمع العربينط1، 2009.

38. محمد حسن جودي، العمارة العربية الإسلامية، دار الميسرة، ط1، 2007.

39. محمد قطب، واقعنا المعاصر، مكتبة الرحاب، الجزائر، ط2، 1989.

40. محمد عبد المنعم جليل، الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة، 2003

41. محمد عبد القادر خريسات،تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة الدراسات الجامعية،ط1، 2000.

42. محمد عبد المنعم الزر عشي،إعلام المساجد بأحكام المساجد، القاهرة،دط، 1994.

43. ناصر الرباط، ثقافة البناء وبناء الثقافة، بحوث ومقالات في تاريخ العمارة، بيروت، رياض، 2002.

44. هاني محمد القحطاني، مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة،مركز الدراسات الوحدة العربية،ط1 ،2009 .

45. وهيابي الفضل، موسوعة علم التاريخ و الحضارة والعالم في العهد الروماني حتى عصر النهضة، نوبليس، ط2، 2005.

46. هاني محمد القحطاني، مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة،مركز الدراسات الوحدة العربية،ط1 ،2009 .

47. يحي احمد الكعكي، رسالة المسجد الوسطية والاعتدال، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2003.

الرسائل الجامعية:

1. أم الخير،تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي منذ بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة تلمسان،19933-1994.

2. بلحاج طرشاوي،العمارة الإسلامية أصولها الفكرة ودلالتها الثقافية والبيئية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفنون، 2006-2007

3. بلحاج معروف، العمارة الدينية الاباضية لمنطقة وادي ميزاب، أطروحة مقدمة لنيل الدكتورة دولة في تاريخ العمارة الدينية2002.

4. حكيم بن يلس، العناصر المعمارية و ضيفتها و زخرفتها في المسجد، مذكرة شهادة الماجستير، جامعة تلمسان،2004. 2005.

5. سيدي محمد الغوثي سنوسي، الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينية الإسلامية بالمغرب العربي، رسالة دكتوراه دولة قسم الثقافة الشعبية تلمسان، 2000.

الفهرس

الفهـــــــــــــرس

مقدمة..... أ-ث

مدخل..... 02-12

الفصل الأول: العمارة العربية الإسلامية..... 14-44

1. المبحث الأول: العمارة..... 14-19

المبحث الثاني: العمارة الإسلامية و نشأتها..... 20-27

1. ما هية العمارة الإسلاميّة..... 20

2. نشأة العمارة الإسلامية..... 22

المبحث الثالث: خصائص العمارة الإسلامية وأقسامها..... 28-33

1-خصائص العمارة العربيّة الإسلاميّة..... 28

2. أقسام العمارة العربية الإسلامية..... 31

المبحث الرابع: عناصر العمارة العربية الإسلامية..... 33-44

الفصل الثاني: الجامع الأموي..... 47-81

المبحث الأول: ماهية المسجد و دوره في تكوين المدينة الإسلامية..... 47-59

المبحث الثاني: الجامع الأموي..... 59-64

المبحث الثالث: التخطيط المعماري للمسجد الأموي..... 64-73

المبحث الرابع: العناصر الزخرفيّة للمسجد الأموي..... 73-81

خاتمة 83-84

ملاحق..... 86-93

قائمة المصادر و المراجع..... 95

الفهرس.